الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد الدلالية للأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف

– دراسة موضوعاتية –

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبات:
- جميلة مقرحي
- لاله فاطمة مسعودي

إشراف الدكتور:
محمد بن عبد الواحد

	أعضاء المناقشة	
د. علي مدلل	أستاذ بجامعة حمه لخضر – الوادي –	رئيسا
د. محمد بن عبد الواحد	أستاذ بجامعة حمه لخضر – الوادي –	مشرفا و مقررا
د. كمال بن عمر	أستاذ بجامعة حمه لخضر – الوادي –	مناقشا

السنة الجامعية : 1437 – 1438 /2016 – 2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد الدلالية للأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف

– دراسة موضوعاتية –

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبات:

- جميلة مقرحي
- لاله فاطمة مسعودي

إشراف الدكتور:

محمد بن عبد الواحد

	أعضاء المناقشة	
د. علي مدلل	أستاذ بجامعة حمه لخضر – الوادي –	رئيسا
د. محمد بن عبد الواحد	أستاذ بجامعة حمه لخضر – الوادي –	مشرفا و مقررا
د. كمال بن عمر	أستاذ بجامعة حمه لخضر – الوادي –	مناقشا

السنة الجامعية : 1437 – 1438 /2016 – 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النمل الآية ١٩

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله وعونه وتمام جوده وكرمه وفّقنا لإتمام هذا العمل فله بالغ الحمد وخالص الشكر

والثناء ﴿ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الروم

ثم إنّه من تداعيات الواجب ومتطلبات الشكر، أن نشكر أستاذنا المشرف الذي أنار بحثنا بالحلم والتواضع والصبر قبل أن ينيره بالمراجع والتوجيهات، فنرجو أن يتصفح شكرنا عدد ما في البحث من صفحات بل عدد ما فيه من الحروف والكلمات.

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا بالكثير أو اليسير ومن تحمل معنا مشقة طول المسير إلى أن خرج العمل إلى النور.

مقدمة

يسعى كلّ باحث أو مفكّر إلى تربية الإنسان، وبناء شخصية الفرد، وتكوين المجتمع، ويُعدّ بناء الإنسان محورًا وأساسا للتنمية الشاملة التي تسعى إليها أمّتنا وسائر الأمم دون أن يقلّل هذا من جوانب التربية الأخرى؛ والتربية معنية بالتطبيق إلى جانب الفكر كما هي معنية بالهدف والوسيلة، وإنْ كانت معنية بالإنسان في جميع مراحل حياته فلا بدّ من تركيزها على الفئة التي لها قابلية أكثر للنموّ، وعلى التراث الذي يمكن أن يخدم هذه الفئة وسائر أفراد المجتمع.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ اختيار الأدب الشعبي لا يعني الانحدار إلى السطحية أو البساطة أو توخيهما، بل يعني أنّه سينتهي إلى تربية تمثل اتّجاها فكريا مُتميّزاً، ويسجل له أنّه اعتنى بالإنسان الذي يعدّ الهدف والغاية والوسيلة؛ فالإنسان هو حامل رسالة الإنسانية، ووسيلة تحقيق أهدافها وغاياتها.

وتعدّ الأمثال الشعبية أحد الأشكال المميزة عن باقي أشكال الأدب الشعبي الأخرى، فهي تحمل في طياتها دلالات اجتماعية ودينية وأخلاقية واقتصادية عن مظاهر الحياة العامّة السائدة في المجتمع ثمَّ إنّ المثل الشعبي يمثّل حكمة الشعب وتاريخه، وهو الصّورة الصّادقة لحياة الشّعوب والأمم؛ فيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر أمد بعيد من حضارتها، وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها. نجد في طيات الأمثال مختلف التعبيرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصّورات أفرادها بأساليب متنوعة، وقد قيل: إنّ ضرب المثل لم يأت إلاّ ردّ فعل عميق لما في النّفس من مشاعر وأحاسيس نتيجة للمؤثرات الشعورية التي اختفت في العقل الباطن، فجاء سلوكه تعبيرًا عن عمق المؤثرات التي دعت إلى ضرب المثل. وهو يعدّ مصدرًا خصبا لمن يريد أنّ يفهم الشخصية القومية ومذهبها الفطري في التفكير وفي الحياة بصفة عامة؛ وبالتالي فرصد الأبعاد الدلالية للأمثال إنّما هو رصد لخصائص الشّعب الذّي ذاع فيه المثل وانتشر، ومن هنا كان عنوان البحث: الأبعاد الدلالية للأمثال الشعبية في منطقة سوف: "دراسة موضوعاتية ". وهذه الدراسة تهدف إلى:

- الوقوف على القضايا والمعاني التي يتناولها أصحاب البيئة السوفية التي قيلت وذاعت فيها الأمثال

- التعرف على قيمة ودلالات الأمثال التي تعدّ قواعد منظمة لجميع جوانب الحياة.
- المساهمة والعمل على إحياء هذا النتاج التراثي المشتت وحفظه.

أما سبب اختيارنا للموضوع فيعود لأسباب موضوعية وذاتية جعلت الباحثتين تميلان إليه وتعمدان لدراسته، حيث تتلخص الأسباب الموضوعية في النقاط الآتية:

- إهمال هذا الموروث الذي يعدّ وثيقة تاريخية واجتماعية لا يتطرق إليها الشّكّ وتعرّضه للضياع
- أنّ المثل الشعبي يعبّر عن سلوكات معينة، وكلّ ما يمتّ بصلة للتصوير الثقافي العام للمجتمع كان داعيا لاهتمامنا به ومحاولة جمعه.
- أنّ الأمثال الشعبية لم تنل حظها الوافر من الدراسة بوصفها أحد أشكال الأدب الشعبي.
- محاولة جمع أكبر قدر من الأمثال الشعبية وشرحها.
- التعرف على أهمّ الأبعاد الدلالية للأمثال الشعبية وأهمّ موضوعاتها.

أمّا الأسباب الذاتية فتمثّلت فيما يلي:

- إعجابنا الشديد بموضوع الأمثال الشعبية نظرًا لما أدركناه من دلالات وخصائص مميزة لها.
- خدمة الثقافة الشعبية للمنطقة كوننا ننتمي إليها.
- اِنعدام دراسات سابقة حول الأبعاد الدلالية للأمثال السوفية.

هذه هي مجمل الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع كمحور بحث.

وبما أنّ لكل بحث إشكالية جوهرية يتأسّس عليها مضمونه ثم تجيب عليها نتائجه فإنّ هذا الموضوع يبحث في الأسئلة الآتية:

– ما هي أهمّ الأبعاد الدلالية التي تطرق إليها المثل الشعبي وما هي أهمّ موضوعاته ؟

– كيف عكست الأمثال تلك الأبعاد الدلالية التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات ؟

أمّا المنهج المعتمد في هذه الدراسة، فقد حاولنا المزاوجة بين منهجين هما: المنهج التاريخي وهذا من خلال تناول موضوع ينتمي إلى الماضي، مسجّل فقط في ذاكرة الشّعب، ومتداول عبر الرواية الشفوية، وقد أخذنا المادة العلمية ممّا تحفظه صدور أجدادنا ومن بعض كبار السنّ. وثانيًا المنهج الوصفي التحليلي، من خلال محاولة جمع الأمثال وشرحها، ثم قمنا بتصنيفها إلى مواضيع متعدّدة حسب أبعادها الدلالية، وهذه المواضيع متعلقة أساسا بالحياة الاجتماعية، حيث قمنا بانتقاء بعضها من خلال ما توفّر لنا ممّا جمعناه في كلّ بعد.

وقد اعتمدنا في دراستنا لموضوع "الأبعاد الدلالية للأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف" خطة بحث مبنية على مدخل وفصلين وخاتمة.

المدخل: بعنوان "منطقة سوف لمحة جغرافية وتاريخية وثقافية"، فتناولنا فيه التسمية ومظاهر السطح والإطار الجغرافي والتاريخي والثقافي.

الفصل الأوّل: بعنوان "فن المثل (تحديدات نظرية)"، وجعلناه في مبحثين:

المبحث الأول: المثل العربي الفصيح، وقد قمنا فيه بتقديم تعريف لغوي واصطلاحي للمثل، ثم ذكر المثل في القرآن الكريم، وصولاً إلى ذكره في الحديث النبوي الشريف.

أما المبحث الثاني: المثل الشعبي، وقد خصّصناه لدراسة المثل الشعبي من خلال تعريفه وبيان أنواعه ودراسة خصائصه ومميزاته، ثم ذكر مصدر المثل الشعبي ووظيفته، والتّطرّق إلى أهميّته وعلاقته بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.

الفصل الثاني: بعنوان،"الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف وأبعادها الدلالية"، من خلال توزيعها ودراستها عبر أبعادها الأربعة، هي: البعد الاجتماعي والديني والأخلاقي والاقتصادي.

إنّ موضوع الأمثال الشعبية مجال خصب للدراسة والبحث، فرغم وجود بعض الدراسات في منطقة وادي سوف، كالأمثال الشعبية السوفية دراسة فنية، وصورة المجتمع السوفي من خلال الأمثال

الشعبية، وتداولية الأفعال الكلامية في الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف؛ إلا أنّ هذه الدراسة بعنوان: الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف دراسة موضوعاتية، فلقد شملت بعض المواضيع التي قمنا بدراستها لكنها لم تصنفها حسب البعد الدلالي الذي تنتمي إليه. وهذا ما قمنا بدراسته إذ خصّصنا كلّ موضوع حسب البعد الذي تندرج فيه الأمثال.

ومن أهمّ الكتب التي اعتمدناها، فنذكر منها: كتاب الميداني "**مجمع الأمثال**"، و"**الأمثال العربية** " لعبد المجيد قطامش، ونبيلة إبراهيم "**أشكال التعبير في الأدب الشعبي**"، و"**1500مثل وحكمة شعبية من وادي سوف**" لابن علي محمد الصالح.

ولا يخلو أيّ عمل من صعوبة، إذْ من المعتاد أن يسجّل الباحث صعوبات عند القيام ببحثه ؛ وقد واجهتنا بدورنا بعض الصعوبات منها:

- اعتمادنا على الثقافة الشفوية المروية، وتضارب معاني بعضها في نفس المنطقة.
- صعوبة شرح الأمثال وتصنيفها حسب بعدها الدلالي.

وفي الأخير وبفضل الله وعونه وتوفيقه، تم تذليل هذه العراقيل والصعوبات من الباحثتين، ليتحوّل العمل من فكرة مقترحة إلى مذكرة خرجت لنور الطباعة رغم ما يعتريها من نقص يتوجّب إتّمامه، وإيجاز يحتاج توسّعًا أكثر، ونتوجّه بجزيل الشكر إلى أستاذنا المشرف "محمد بن عبد الواحد" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه لإنجاز هذا البحث. والله الموفق لكلّ خير.

مـــدخـل

اللّغة فكر ناطق، والتّفكير لغة صامتة، واللّغة هي معجزة الفكر الكبرى إنّ للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كلّ أمّة فإنّها الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم، فتقيم بذلك روابط الاتّصال بين أبناء الأمّة الواحدة وبها يتمّ التّقارب والتّشابه والانسجام بينهم كما أنَّ القوالب التي توضع فيها الأفكار و الصّور الكلامية الّتي تُصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقًا عن مضمونها الفكري والعاطفي وهي الترسانة الثقافية الّتي تبني الأمّة وتحمي كيانها. وتنقسم اللّغة إلى عدة بيئات لغويّة منها لهجة خاصّة،أو صفات لغوية معيّنة، ويشترك أفراد البيئات المختلفة أو المتكلمون باللهجات المتعدّدة في أكثر خصائص اللغة، فإذا قلنا اللغة العربية قصدنا اللغة التي يتفاهم بها وتكتب وتسمع وتفهم عباراتها، أما إذا قلنا لهجة منطقة ما قصدنا طريقة أداء أهل تلك المنطقة للّغة، فقد تكون لهم خصائص معينة يختلفون فيها عن غيرهم[1]. وبما أنّنا بصدد دراسة الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف، فوجب علينا الإشارة أولّا إلى لهجة وادي سوف، فنجد أنّ الباحثين توصّلوا إلى نتيجة مفادها أنّ لهجة أهل سوف تُعدّ من أقرب اللهجات العربية الجزائرية إلى اللّغة العربية الفصحى. يقول الأستاذ الدكتور أحمد زغب في كتابه "لهجة وادي سوف": وتحقق لدينا أنّ لهجة منطقة سوف، حافظت على فصاحة ألفاظها إلى حدّ بعيد، كما تبيّن ضعف تأثير اللغة الفرنسية على سكان المنطقة. ..، ومن ثمّ وقفنا على ثروة لفظية هامّة فصيحة نطقاً ودلالة،ووجدنا نسبة لايستهان بها من الألفاظ الفصيحة المتروكة في العربية النمطية"[2].

وتعدّ منطقة الوادي بموقعها الجغرافي و التاريخي أحد أقطار الثقافة الجزائرية بما تحويه من مكنوزات تاريخية وحضارية من فنون وتقاليد وموروث شعبي يدلّ على عراقة هذه المنطقة وتجذرها في التاريخ فتتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل.[3]

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت، ص15.

[2]- ينظر: أحمد زغب، لهجة وادي سوف، دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2012، ص187.

[3]- الوادي سحر الجنوب ودفء الصحراء: مجلة ثقافية، محافظة المهرجان الثقافي المحلي للثقافات والفنون الشعبية لولاية الوادي، ص1.

أولاً: التسمية

تعدّدت الروايات واختلفت الكتابات في تحديد أصل التّسمية لوادي سوف، فمنهم من يعزوها إلى الطبيعة الجغرافية ومنهم من يعزوها إلى أحداث تاريخية وغيرهم ينسبها إلى أسماء أعلام.أصل التّسمية مركّبة من كلمتين"وادي" و"سوف" وهذه الأخيرة لا تمثّل فقط منطقة طبيعية وجغرافية بالإمكان تحديد ملامحها،بل هي أيضًا منطقة بشرية تتكامل فيما بينهما لتعطي الاسم الحقيقي للمنطقة، وقد قيل عن أصل التسمية إنّها ترجع إلى مكان بسوريا يدعى (سوف البصرة) قرب حلب الشام، فلعلّ الوافدين إلى هذه المنطقة سُميت بهم.[1]

ثم صارت تسمى أرض سوف قيل لأنّها كانت محلاً لأهل الصوفه، لأنّ كل عابد من أهل التّصوف ينقطع للعبادة فيها، وربما التزم لبس الصوف، وقيل سُميت بذلك لأنّ أهلها الأوّلين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم.وقيل كان بها رجل عليم أي صاحب حكمة يسمى(ذا سوف) فسُميت هذه الأرض به، وسوف في اللغة معناه العلم والحكمة[2].

وقال القدماء أنّهُ حين أتى طرود إلى هذه النواحي قالوا نسكن تلك السيوف وهي الكثبان الرملية أو الأحقاف، وبمرور الزمن حذفت الياء فصارت تسمى (سوف).

وقيل على رأي ابن خلدون إنّها سُمّيت باسم قبيلة "المسوق" وهم الملثمون والمعروفون في الجنوب الجزائري، من البربر.[3]

ومنه يتّضح أن سبب اختلاف التسمية تداول أول ألسنة العامة عليها مع عدم محافظتهم على أصول الكلمات فصار الذّاهب والآتي يقول ذاهب إلى سوف أو كُنت في سوف، والله أعلم.

---

[1]- مكاوي عون، سوداني عمار، سباق عبد القادر بشير: هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة، مطبعة سخرية، الوادي، ط1، 2014، ص19.

[2]- إبراهيم محمد الساسي العوامر: الصّروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الأبيار، الجزائر،دط، 2007، ص42.

[3]- المرجع السابق، ص21.

ثانيًا:مظاهر السطح

تمتد في رمال العرق الشرقي الكبير، ولقدّ أجمعت مختلف المؤلّفات على أنّ سوف كانت في الماضي عبارة عن واد سطحي، لهُ عدة روافد وفروع، منها عيون النازية على مسافة 60 كلم² شمال شرقي الوادي. وسميّ هذا القسم وادي النازية، ووادي الجردانية والذي يبعد 50 كلم²شمال الوادي تقريبًا. وعندّما يصل إلى منطقة الشط الشرقي يتفرع إلى ثلاثة فروع يتّجه أحدها شرقًا نحو الطريفاوي، وينعطف آخر نحو الجنوب الشرقي ويدعى (واد وراغ) ويتّجه فرع ثالث نحو الجهة الجنوبية الغربية ويدعى (واد زيتن) غير أنّ هذا الوادي اختفى تحت رمال العرق الشرقي غير بعيد عن السطح خاصّة في شمال سوف.[1]

ثالثًا:الإطار الجغرافي

1- الموقع والحدود: تقع سُوف في المنطقة الجنوبية الشرقية للقطر الجزائري حاليًا بالعرق الشرقي في أحضان الصحراء الكبرى، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 82.800 كلم^2، وتنحصر مابين دائرتي عرض31°و34° شمالاً وما بين خطي طول 6° و8° شرقًا، وهي بذلك تشكّل كتلة ضخمة من الكثبان الرملية التي تمتدّ بعيدًا جدًّا بالجنوب في المجال الشاسع الممتد مابين ورقلة وغدامس ويُطلق عليها باسم صحراء العرق الشرقي[2].

ويحدّ أرض سوف من جهة الشمال المعبّرة عنه بالجوف أو الظهرة: بسكرة والحوش وسيدي محمد بن موسى والفيض والزرائب الميته وبودخان من جهة الشرق: نقرين وأفركان ونفطة ونفزاوة.ومن جهة الجنوب المعبّرة عنه بالقبلة واحات طرابلس وغدامس وما والاها من جهة الغرب: ورقلة وتماسين وتقرت[3].

[1]- المرجع نفسه، ص21- 22.

[2]- مكاوي عون وآخرون: هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة، ص22-23.

[3]- إبراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص41.

2-الخصائص المناخية: تتميّز سوف بمناخها القارّي إذ تكون حالة الطقس متذبذبة فقد ترتفع فيه درجة الحرارة في النهار صيفًا إلى أكثر من 55°، وقد تنخفض ليلاً في الشتاء إلى ما دون 0°، وكان لبعد المنطقة عن البحار تأثيرٌ هامٌ في هذي الوضعية فمن جهة عنابة تبلغ المسافة 390 كلم. ومن جهة قابس التونسية 305 كلم، حتى إنّ سوف لها فصول ملتهبة (حارة) جدًا.

أما الرياح عادة في منطقة وادي سوف تهبُّ بشكل مستمر غير أنّها تشتد أكثر في فصل الربيع.أما الأمطار فتهطل بنسب ضئيلة نظراً لبعد المنطقة عن سطح البحر فقد نجدها تهطل أحيانًا في فصل الشتاء لتفتقدها في باقي الفصول الأخرى، وذلك لبعدها عن المسطحات المائية والغطاء النباتي، وينحصر سقوط الأمطار مابين شهري نوفمبر، فيفري. ورغم الأمطار القليلة في سوف حسب وصف لوسياندافيولت (luciendaviavlt) لا يجب التصديق بأن الصحراء لا يوجد بها غطاء نباتي تماما، ففي الواحات (الصحُون) نجد العديد من النباتات ولا نستطيع أن نقارن هدي المراعي بما في منطقتنا فلا توجد مراع خضراء ولكن باقات من العشب تمتد في شكل مجموعات متفرقة الواحدة تلو الأخرى، ومن بين أنواع النباتات التي تنتشر في صحراء سوف نجد: الحلفاءوالعضيد والرتم. ..[1]

رابعًا: الإطار التاريخي

على الرّغم من أنّ منطقة سوف كانت معزولة نوعًا ما من حيث موقعها الجغرافي إلا أنّها لم تكن بمعزل من كلّ الأحداث الهامّة التي عاشتها الجزائر، وخاصة السياسية منها لكون المنطقة تحتلّ موقعًا هاما بالنسبة لأطماع الإدارة الاستعمارية وعليه سنحاول تسليط الضوء على الوضعية السياسية التي عاشتها المنطقة في هذه المرحلة الحرجة والصعبة.

1) الاحتلال الفرنسي لمنطقة سوف: من المعلوم أنّ فرنسا قد احتلت الجزائر في صيف 1830م، لكنها لم تتمكن من بسط سيطرتها على كافّة أراضيها الشاسعة المترامية الأطراف،

[1]- المرجع السابق، ص25-26.

وكانت تهدف من وراء هذه السيطرة منع وقمع كلّ التمردات التي قادها الثوار في مناطق الصحراء الجزائرية زيادة على هذا رغبتها في امتصاص و استغلال ثروات هذه المنطقة والعمل على توطين عدد كبير من الأوروبيين.كما عملت السياسة الفرنسية على مراقبة الحدود ومنع عمليات تهريب السلاح والثروات الحيوانية خاصّة على حدود وادي سوف وليبيا أين تكثر الصراعات وتحتدم المواجهة في محاولة فرنسية لسيطرة وبسط نفوذها في الصحراء.وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ فرنسا اتّبعت أسلوب التّدرّج في الوصول إلى أهدافها بالصحراء الجزائرية بعد مرورها بمراحل هامّة منها:[1]

أ- الرحلات الاستكشافية للصحراء الجزائرية: فقد قامت السلطات الاستعمارية بترجمة عدّة رحلات هامّة قام بها المسلمون كرحلة الأغواط (1726م) والعياشي (1628-1679) والعلّامة الموريتاني أحمد المصطفى الطوير الجنة، وذلك لما تحتويه هذه الرحلات من معلومات هامّة حول طرق المواصلات في الجنوب ومواصفات دقيقة حول وادي سوف ووادي ريغ.

ب- السياسة الفرنسية وانتفاضة السكان: امتازت السياسة الفرنسية في منطقة سوف بإتّباع أساليب جائرة وممارسة الضغوط على بعض القياد وشيوخ الزّوايا بهدف بسط نفوذها خاصّة مع شيخ الطريقة القادرية الهاشمي الشريف، إذ قام هذا الأخير بانتفاضة شعبية قادها في الخفاء والتي تعرف بـ: (هدة عميش الأولى) كما عرفت الأوضاع السياسية مابين 1918م-1954م أحداثًا ومتغيرات جديدة بحدوث تغيّرات في الحالة الأمنية على الحدود الجنوبية لوادي سوف، أمّا على الصعيد المحلّي فقد برزت نشاطات سياسية للزاوية القادرية في نطاق الحركة الإصلاحية، وبعد وفاة الشيخ الهاشمي الشريف وتولي ابنه عبد العزيز(1889-1965م) مشيخة الزاوية، والتي أتبعها بانضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واعتمدها غطاء لنشاطه السياسي وقد قام بهدة عميش الثانية.

2) نشاط الحركة الوطنية الجزائرية في منطقة سوف: إنّ نشاطات التيارات السياسية بالجزائر أخذت تدريجيًا في التغلغل إلى سوف، وأصبحت المنطقة حاضنة لكلّ هاته التشكيلات:

أ- جمعية العلماء المسلمين.

[1]- ينظر: مكاوي عون وآخرون: هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة، ص52-54.

ب- حزب أحباب البيان والحرية.

ت- حزب الشعب الجزائري،حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية.

ث- الحزب الشيوعي.[1]

خامسًا: الإطار الثقافي

اشتهر أهل منطقة سوف بالحيوية و الذكاء في الميدان العلمي والاقتصادي و بميل كبير للعلماء والمصلحين، كما اشتهروا بالتديّن والأخلاق الفاضلة، كانت نسبة الثقافة العربية عندهم مرتفعة جدًا ولا فرق في ذلك بين رجالهم ونسائهم كما كان الطابع العربي واضحًا في لون تفكيرهم وتقاليدهم، بارزًا في عوائدهم وسلوكهم يجلّون الكرم والوفاء بالعهد والأمانة،غيورون على لغتهم ووطنهم غيرة نابعة عن نفس طاهرة خالصة لله وللوطن. وكانت لغة التخاطب عندهم أقرب ما تكون من لغة أهل الجزيرة العربية إذ يحس السامع في لهجتهم وأسلوب خطابهم أسلوبًا قرآنيا، إيجاز في اللفظ وسمو في المعنى ونبرات رنانة ذات إيقاع موسيقي جميل وصدق في التعبير عن مكنونات قلب طاهر ونفس صافية ينشدان الخير والحق والجمال.ومن المعروف أيضًا عن أهل سوف تعطشهم للعلم والتّعلم وتحمسهم للمبادئ الإسلامية والحركات الوطنية فلم تخل منطقتهم عبر تاريخها المديد من علماء وفقهاء ومصلحين أذكر منهم على سبيل المثال الشيخ عبد العزيز الشريف[2].

كما تحظى الثقافة السوفية بموروث هام من كلام الأوّلين الذي توارثه جيلاً عن جيل مشكلاً بذلك حلقة امتداد لعلاقة مجتمعية ترتبط بمدلولاتها الثقافية والدينية والحياتية ولعلّ الأمثال الشعبية أبرز تلك الموروثات التي تناقلتها الأجيال والتي لازالت إلى اليوم تحظى بمكانتها الرفيعة.وتعتبر أجمل صورة من صور التعبير العفوي في التراث السوفي تتداول لدى الجميع المثقف والأميّ، الشاب والشيخ، فلا تحتاج إلى وقت ومكان معيّنين أو جلساء مخصصين، وكثيرًا ما كان الأميّ في المجتمع السوفي أكثر مهارة في استعمال المثل حين تأتي مناسبته مدعمًا به أقواله مؤثرًا به على السامعين

[1]- المرجع السابق، ص54-60.

[2]- إبراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص29.

فكما يقال" بالأمثال يتضح المقال" ومثلما كانت الأمثال بابًا من أبواب الأدب العربي فهي أيضًا باب من أبواب الأدب الشعبي وربما كانت الأمثال الشعبية أكثر فهمًا وأبلغ تأثيرًا بلغتها البسيطة ومعانيها المتداولة التي تقرّبها من عامة الناس لذلك كلّه صمدت أمام الزمن رغم تنقّلها من السلف إلى الخلف مشافهة وبطريقة عفوية خالية من التكلّف، وممّا ساعدها على الصمود أيضًا انتشارها في جميع الأماكن داخل المسكن مع الجلسات العائلية وفي الشارع والسوق والمقهى والحافلة والجلسة الشعبية ونحوها.[1]

[1]- بن علي محمد الصالح: 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف سلسلة الثقافية الشعبية، ط1، 1998، ص8-9.

الفصل الأول

فن المثـــــــــل
(تحديدات نظرية)

المبحث الأول: المثل العربي الفصيح

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي

ثانيًا: المثل في القرآن الكريم

ثالثًا: المثل في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني: المثل الشعبي

أولا: تعريف المثل الشعبي

ثانيا: أنواعه

ثالثا: خصائصه ومميزاته

رابعا: مصدره و وظيفته

خامسا: أهميته وعلاقته بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية

المبحث الأول: المثل العربي الفصيح

تمهيد:

الأمثال عند كل الشعوب مرآة صافية لحياة، تنعكس عليها عادات وتقاليد تلك الشعوب و سلوك أفرادها ومجتمعاتها وهي ميزان دقيق لتلك الشعوب في رقيها وانحطاطها، وبؤسها ونعيمها، وآدابها ولغاتها وقد بلغت العرب في ضرب الأمثال شأوا لا يدرك، فسلكوا فيها كل مسلك، ولم يخلّ كلام لهم من مثل في تضاعيفه، كما زينوا بها فنون القول وتصاريفه، فلا عجب أن يهتم بها اللّغويّون العرب، الذين جمعوا لنا منها قدرا كبيرا، منذ فجر التأليف في العربية. وتناولوها بالشرح والتفسير، كما جمعوا لنا قصصها التي حدثت بالفعل، أوحكيت حولها. وبيّنوا لنا موردها ومضربها، ورتبوها في ضروب مختلفة من الترتيب والتبويب. ومن أهم المراجع التي تناولت الأمثال بالدّراسة – من خلال ما أورده عبد المجيد قطامش– نذكر :

1–كتابالأمثال للمفضل بن محمد الظبي (170هـ).

2 –كتاب الفاخر للمفضل بن سلمه (291هـ).

3–كتاب الزاهر لابن الأنباري (مابين 327 و328هـ).

4–كتاب الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهاني (351هـ).

5 –كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (395هـ).

6 –كتاب مجمع الأمثال للميداني (518هـ). [1]

ولا تخلوا المكتبات من كتب ومصاحف تناولت المثل وأوضحت مغزاه.

[1]– عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية(دراسة تاريخية تحليلية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص 121– 122.

أولا: التعريف اللغوي والاصطلاحي

1. **في اللغة:** المثل له عدة تعريفات لغوية مأخوذة من الجذر الثلاثي(م ـ ث ـ ل) وهي كالآتي:

- يعرفه ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (م ـ ث ـ ل) " أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أيّ نظيره والمِثل والمِثال في المعنى واحد، وربما قالوا مَثِيل كالشبيه، والمثّلُ والمِثلُ أيضا كشِبه وشَبَه ".[1]
- وفي لسان العرب لابن منظور: " ومِثل كلمة تسوية، يقال: هذا مَثَلُه ومِثلُه كما يقال شبه وشبيه، فمعناه أنه سدّ مسدّه وإذ قيل هو مِثلُه في كذا، وهو مساو في جملة دون وجهة والمثل الشَبه، والمثل الشيءُ الذي يضرب للشيءِ مثلا فيحمله مثله".[2]
- وفي الصحاح للجوهري ورد المثل بمعنى"ما يضرب به من الأمثال"[3]، ويعني ذلك أنّ الشيء الذي يضرب للشيء مثلا فيصير مثله، ويقول أيضا: " ومثل الشيء أيضا صفته".[4]
- أما الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين فجاء"المثل بمعنى الشيء الذي يضرب الشيء فيحمله مثله"[5]، ويعني أن المثل الذي يضرب للشيء مثله تماما.
- ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿...ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ...﴿٢٩﴾﴾[6] أي صفتهم.
- وقوله تعالى أيضا:﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[7]، أي لهم الصفات الذميمة وله الصفات العليا.

---

[1]- أحمد بن فارس: معجم المقاييس للغة، ج 5، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الجبلين، بيروت، دط ،دت،ص 296.

[2]- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ج 11، (مادة مثل)، دار اللسان العربي، بيروت، دط، دت، ص 610.

[3]-إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج 5، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العالم للملايين، بيروت لبنان،ط 2، د ت، ص 1816.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المجلد8، تج: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، ص 288.

[6]- سورة الفتح، الآية 29.

[7]- سورة النحل، الآية 60.

إنَّ معنى مادة "مثل" يتوزع في معاجم اللغة بين هذه المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد، التسوية والنظير، الشبه والصفة.

2. في الاصطلاح:

أما المثل في الاصطلاح الأدبي فهو ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات، تجعله جنسًا من الأجناس الأدبية قائما بذاته،وقسيما للشعر والخطابة والقصة والمقالة والرسالة والمقامة. ..ويُعرفونه كذلك: "المثل قول موجز سائر صائب المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة ".وقد عُني علماء البلاغة واللغة، منذ زمن مبكر بتعريف المثل الأدبي وتحديد خصائصه.[1]

فقد جاء في كتاب الأمثال للميداني يعرض آراء بعض أهل اللغة والأدب وعلم الكلام، مستهلا هذا العرض برأي المبرد الذي يقول: "المثل مأخوذ من المثال، وهو سائر يشبه به حال الثاني بالأول،والأصل فيه التشبيه فقولهم: (المثل بين يديه) إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة، و (فلان أمثل من فلان) أي أشبه بماله من الفضل، والمثال القصاص لتشبيه المقتصمنه بحال الأول، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول"[2].

قال كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيْدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيْلُ.[3]

وقال إبراهيم النظام: يجتمع في الأمثال أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة.

[1]- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية (دراسة تاريخية تحليلية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م، ص11.

[2]- محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفاس، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ص37-38.

[3]- كعب بن زهير: ديوان كعب بن زهير، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص125.

أمّا عن كتب الأمثال الحديثة، فنبدأ بتجربة عبد المجيد محمود الذي قام بشرح آراء الأقدمين إذ يقول:"المثل هو القول السائر الذي يشبه به حال الثاني بالأول، أو الذي يشبه مضربه بمورده، والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام، وبالمضرب الحالة المشبهة التي أُرِيدت بالكلام."

ويقول إميل بديع يعقوب: "المثل عبارة موجزة بليغة شائعة الاستعمال، يتوارثها الخلف عن السلف، وتمتاز عادة بالإيجاز وصحة المعنى، وسهولة اللغة وجمال جرسها "

فالمثل إذًا شكل من أشكال الأدب له عناصره المميزة وسماته المحدّودة، وهي خلاصة معرفة البشر وتجاربهم في الحياة، بل لعلها تعني فلسفتهم في الحياة.[1]

وللأمثال العربية مضرب ومورد :

أ- مضرب المثل:

أما ضرب المثل فيراد به إطلاقه واستعماله في الحالات المتجدّدة التي تشبه الحالة الأولى، وبمعنى آخر يضرب المثل في الكلام بذكر حال ما يناسبها؛ فيظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفيًا، ولا يظهر التأثير في النفس بتحقير شيء وتقبيحه، إلّا بتشبيهه بما جرى العرف بتحقيره، ونفور الناس منه؛وقد اختلف العلماء اختلافًا واسعًا في الأصل الحسي الذي أخذ منه لفظ (ضرب) المثل؛ فقيل إنّه مأخوذ من الضرب في الأرض: أي الإيغال فيها والإبعاد في أقاصيها، وقيل: إنّه مأخوذ من ضرب الخباء،وهو نصبه وإقامة عمده،وإثبات طينه، ويكون المعنى على هذا نصب الأمثال للناس بالشهرة، لتستدل عليها خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم.[2]

وقيل: مأخوذ من ضرب الدراهم، وهو صوغها بالمطارق وإحداث أثر خاص فيها؛ كأنّ ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعًا ينفذ أثره إلى قلبه، فيؤثر في النفوس كما تؤثر المطارق في الدراهم.
وقيل: مأخوذ من الضرب والضريب، بمعنى المثل والنظير، لأنّه يجعل الأول مثل الثاني. وقيل: مأخوذ

[1]- ينظر: محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص38-41.
[2]- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية(دراسة تاريخية تحليلية)، ص12-13.

من الضرب بمعنى التثبيت.

كقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾[1] .ويكون معنى(الضرب المثل) على هذا وضعه موضعه وإثباته حيث يصلح له.

ب- مورد المثل:

ويراد (بمورد المثل) الحالة التي قيل فيها ابتداء، ويراد بمضربه الحالات والمواقف المتجددة التي يمكّن أنّ يستعمل فيها المثل، لما بين الحالتين من التشابه.

ويرى عبد المجيد قطامش: أنّ أول من استعمل هذين الاصطلاحين، هو الإمام الزمخشري(ت 538هـ). وذلك بتعريفه للمثل في مقدمة كتابه:(مستقصي الأمثال) حيث يقول:" المثل في لغة العرب بمعنى المِثْل:كالشَّبه والشّبه ونظيرهما البَدَل والبِدْل، والنَّكَل والنَّكْل،للشجاع الذي ينكل بأعدائه،ثم سُميت هذه الجملة من القول المقتضبة من وُصلها أو المرسلة بذاتها، المتسمة بالقبول المشهورة بالتداول، مثلاً لأنّ المحاضر بها يجعل موردها مثلاً و نظير لمضربها.[2]

ويرى عبد المجيد قطامش- أيضا- لأنّه ليس صحيحًا أنّ كلّ مثل له حادثة معينة، يرتبط بها تسمي المورد؛ لأنّ هناك أمثالا لا ترتبط بأيّة حادثة، منها أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم- وبعض الأبيات الشعرية، والأمثال التي أصلها حكموثم سارت وشاعت و الصواب عنده أن يُطلق المورد على أوّل استعمال للمثل، سواء أكان حادثة أم لم تكن.[3]

[1]- سورة البقرة، الآية 61.

[2]- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية(دراسة تاريخية تحليلية)، ص14.

[3]- المرجع نفسه، ص15.

ثانيا: المثل في القرآن الكريم

الأمثال من أبرز الوسائل الإيضاح التي استعملها القرآن الكريم لهداية المؤمنين، كما استعملها سلاحًا فتاكًا في معركته ضد خصومه،فكثرت بذلك الآيات التي تشيد بفضله وتبين الحكمة من ضربه قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[2].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

وقد أوقعت الأمثال القرآنية العرب في جدال وخصومة، لأنّهم كانوا يضربون المثل في جاهليتهم بالحيوانات ذات الشأن، ولما ضرب القرآن الحيوانات الخسيسة كالذباب والبعوض مثلاً عابوا عليه ذلك[4].فردّ الله عزّ وجل عليهم وبين أنّ العبرة في ضرب المثل ليست في من ضُرب وإنّما في الحكمة من ضربه في قوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[5].

---

[1]- سورة الإسراء، الآية 89.

[2]- سورة الكهف، الآية 53.

[3]- سورة الروم، الآية 57.

[4]- أبو الفراء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ج1، تح: سامي بن محمد السلامة، دت، ص206.

[5]- سورة البقرة، الآية 25.

ولقد اهتم العلماء بأمثال القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا منذ القديم ومنهم؛ الترمذي و القضاعي، ونفطوية، وابن القيم. ..

وإذا كانت بعض الأمثال القرآنية لا تختلف عن الأمثال التي قالها العرب؛ في إيجاز عبارتها فأكثرها ولطبيعة المواضيع التي تعالجها،يتحول إلى قصة تتداخل فيها الأحداث وتتعدد، ويمكن للوقوف على ذلك الرجوع إلى مثل قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف ومثل قصة المرسلين في سورة يس، ونظير هذا كثير في كتاب الله.

ويقسم العلماء أمثال القرآن الكريم إلى قسمين: ظاهر وهو المصرح به، وكامن وهو الذي لا يذكر فيه صراحة وحكمه حكم الأمثال، وقد حاول السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن " تفسر المثل الكامن،وقال مانصه:"أمثال القرآن قسمان ظاهر مصرّح به وكامن لا ذكر للمثل فيه[1]."فمن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].ضرب فيها للمنافقين مثلين: مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر. ثم قال: وأمّا الكامنة فقال الماوردي: "سمعت أنا إسحاق إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل، فقلت إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: خير الأمور أوسطها ؟ قال: نعم في أربعة مواضع.[3]﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[4].وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾. [5]

---

[1]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، تح: شعيب الأرنؤوط، تع: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص672.

[2]- سورة البقرة، الآية 17.

[3]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص673.

[4]- سورة البقرة، الآية 68.

[5]- سورة الفرقان، الآية 67.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[2]

ولما كان القرآن الكريم كله حكمًا وعظات وعبرًا، فقد قام غير واحد من المحققين باستخراج الأمثال والحكم الواردة فيه والتي صارت أمثال سائرة عبر القرون، تداولها الناس على ألسنتهم في حياتهم العملية. ومن الواضح أنّ الأمثال والحكم الواردة في القرآن الكريم نزلت من دون سبق مثال لها، فلم تكن يوم نزولها موصوفة بوصف المثل، وإنّما أضيف عليها هذا الوصف على مرّ الزمان وكثرة استعمالها.

وقد عقد السيوطي في كتابه:" الإتقان في علوم القرآن " بابًا في ألفاظ القرآن الجارية مجرى المثل، وقال: عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب" الآداب" بابًا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل[3].وأورده من ذلك قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[4]

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[5]

[1]- سورة الإسراء،الآية 29.

[2]- سورة الإسراء، الآية 110.

[3]- جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن، ص674.

[4]- سورة النجم، الآية 58.

[5]- سورة آل عمران، الآية 92.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[2]

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾[3]

وختامًا فقد امتازت صيغة المثل القرآني بأنّها لم تنتقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أعيدت مكررة تمثيلاً، وضرب موردها تنظيرًا، وإنّما ابتدع المثل القرآني ابتداعًا دون حذو احتذاه، بلا مورد سبقه فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن الكريم حتى عاد صيغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة.

ثالثا: المثل في الحديث النبوي الشريف

يأتي حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام في قمة البلاغة وغاية الفصاحة بعد كلام الله عزّ وجلّ، قال عنه الجاحظ: "لم يسمع النّاس بكلام أعّم ونفعًا ولا أصدق لفظًا ولا أعدل وزنًا من كلامه ".[4]وقد اعترف له معاصروه بتلك المنزلة من الفصاحة، فهذا أبو بكر الصديق يخاطبه قائلاً:" يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ".[5]والأمثال النبوية أهم مظهر من مظاهر جوامع كلمه، وقد استعملها في الأوجه التي استعمل فيها القرآن الكريم أمثاله ومن هذه الأمثلة مايأتي:

---

[1]- سورة يوسف، الآية 51.

[2]- سورة يس، الآية 78.

[3]- سورة الحج، الآية 10.

[4]- أبو عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين،ج2، تح:عبد السلام محمد هارون،دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت، ص245.

[5]- أحمد عمر هاشم: حول البلاغة النبوية، الفيصل مجلة ثقافية شهرية،العدد 21،فبراير 1979، ص29.

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنّ أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدريّ الغابر من الأفق من المشرف أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها أحد: قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا و صدقوا المرسلين "ومعنى ذلك أنّ هناك درجات في الجنة على حسب أعمال أهلها في الحياة الدنيا، فهناك منازل عاليا ومنازل دونها وفي أعلى الجنة غرف هذه الغرف يراها أهل الجنة ويرون سكانها في أي مكان في الجنة.[1]قال أبو فيد مؤرخ بن عمر وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " نِعْمَ الحيُّ بَنُو مُدْلِجٍ، إذا أَهَلَّوا عَجُّوا،وإذا نَحَرُوا ثَجُّوا ".[2]

جاء في اللسان: عجوا إلى الله في الدعاء وعجَّوا في التلبية. [3]

ثجَّ: يقال ثج الماء وأتى الوادي بثجيجه، ذكر الراغب في مفردات القرآن: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " أَفضلُ الحجِّ العَجُّ والثجُّ " أي رفع الصوت بالتلبية وإرساله دم الهَدْي.[4]وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾[5]

ولقد ذكر عبد المجيد قطامش مجموعة من الأمثال منها، قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ منَ البَيَانِ لَسِحْراً، إيّاكمُ وخضراء الدَّمنَ،حُبُّكَ الشيءَ يُعَمِي ويُصم، لا يُلدغُ المؤمنُ من جُحْر مرتين، التائبُ من الذنب كمن لاذنبَ له).[6]

"إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً ":قال عليه الصلاة والسلام يعني أنّ بعض البيان يعمل على السحر، ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، والبيانُ : اجتماعُ الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب من اللسَنِ،

[1]- موزه أحمد محمد الكور:الأمثال في الحديث النبوي، جامعة قطر، دط، دت، ص122.

[2]- أبو فيد المؤرج بن عمرو السدوسي: كتاب الأمثال، تح: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، دط ،1983، ص77.

[3]- أبو الفضل جمل الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص143.

[4]- الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق،ط2، 1997، ص172.

[5]- سورة النبأ، الآية 14.

[6]- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية(دراسة تاريخية تحليلية)، ص161.

وإنّما شُبه بالسحر لحَّدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له.يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجّة البالغة.

"إنّ المنْبَتَّ لاَ أَرْضاَ قَطَعَ وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى": قال عليه الصلاة والسلام لرجل اجتَهَد في العبادة حتى هَجَمت عيناه: أي غَارَتَه، فلما رآه قال له " إنّ هذَا الدين مَتِينٌ فأوْغِلْ فيه بِرِفْقٍ، إنّ المنْبَتَّ أي الذي يجدُّ في سيرة حتى ينبتَّ أخيرًا، سماه بما تؤول إليه عاقبتهُ.

" الحقُّ أَبْلَجُ وَالبَاطِلُ لَجْلَجٌ ": يعني أنّ الحق واضح، يقال: صُبْح أَبْلَج، أي مُشْرِق، ومنه قوله: حَتَّى بَدَتَ أَعْنَاق صُبْح أَبْلَجَا، وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم" أبلج الوجه " أي مُشْرِقُة، والباطل لجلج: أي مُلْتَبِس، قال المبرد: قوله لجلج أي يَتَرَدَّد فيه صاحُبه ولا يصيب منه مخرجًا.

" الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ ": هذا يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم: جعل الحياء وهو عزيزة من الإيمان وهو اكتشاف، لأنّ المستحي ينقطع بحيائه من المعاصي و إن لم يكن له تَقيِة، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه، ومنه الحديث الآخر " إذا لم تَسْتَحِي فاصنع ما شئت " أي من لم يستحي صَنَعَ ما شاء. [1]

وهناك أمثال عربية جاهلية هذّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كاد أصلها الجاهلي أن ينسى، ومن أمثلة هذا النوع:

"انصر أخَاكَ ظالِمًا أو مَظلُومًا":[2]ذكر الميداني أنّ أول من قاله جندب بن العنبر بن تميم بن عمرو، وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المثل مهذّبا، فعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى

[1]- أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني أبو الفضل النيسابوري: مجمع الأمثال،ج1،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دت، ص8 - 27-31.

[2]- الميداني:مجمع الأمثال، ج2، ص392.

الله عليه وسلم:" أُنصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلومًا، قالوا: يا رسول الله، هَذَا ينْصُرهُ مظْلومًا فَكَيْفَ ينْصرُهُ ظَالِمًا ؟ قال: تَمْنَعَه الْظُّلْمَ".[1]

فالحديث يبين أنّ شروط النصرة في الحديث مخالفة للتي في المثل، وهو توضيح من الرسول الله ما كان ليكون لولا إدراكه لأهمية الأمثال في حياة الناس وعنايتهم بها" الدَّالَّ عَلَى الخَيْر كَفَاعله " هذا يروي فيحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال المفضل أنّ أوّلمن قاله اللُّجَيْجُ بن شُنَيَف اليربوعي في قصة طويلة ذكرها في كتابه الفاخر

لقد حاولنا من خلال هذا المبحث التطرق لأهم التعريفات التي تناولت المثل، لذلك كان من الطبيعي أن نعود إلى كتب اللغة وكتب الأمثال لنتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي، فنجد أنّ الطبع العام لهذه المعاجم التكرار فكلها تقريبا تحتوي على الشروح عينها لمادة "المثل"، فلم يخرجوا به عن المشابهة والمماثلة، والنظير والصفة كما أشرنا إلى مضرب ومورد المثل العربي، ثم ذكرنا المثل في القرآن الكريم، والمثل في الحديث النبوي الشريف فتوصلنا إلى أن المثل يحتل مكانة كبيرة في القرآن الكريم وعند الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل ذكره عدة مرات، ومن هنا توصلنا إلى أنّ المثل قد احتل مكانة هامة بين أشكال الأدب العربي، وبما أنّ المثل يعدّ بابا من أبواب الأدب العربي فالمثل الشعبي أيضا يُعدّ بابا من أبواب الأدب الشعبي وهذا ما سيؤكده المبحث اللاحق.

المبحث الثاني: المثل الشعبي

تمهيد:

يشكّل الأدب الشّعبيّ تراثا غزيرا يُسهِم بفعالية إيجابية في كشف الدّور الحضاريّ للمجتمع العربيّ، وفي العمل على فهم هدا المجتمع، ومعرفة سلوكه وعاداته وتقاليده وتطلّعاته ومدى ارتباطه بماضيه، ويقدّم ثمرة فكر وعقل قديم، ونتاجا فكرياً وتربوياً مهماً يؤثّر في تفكير النّاس وتصرّفاتهم،

[1]- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: الآداب، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1986. ص93.

ويبيّن ما يجب أن يتبع من سلوك، وينوّه بأحداث ووقائع تاريخيّة،وأعمال وذكريات ذات تأثير بعيد في حياة الجماعة ويُعدّ من أهم الوسائل التّي تدعّم التقاليد وتبرز القيم والأفكار التي تأخذ بيد الجماعة، وتعمل على تعليم الأفراد، ووضع الأمور في مواضعها علىحسب قيم جماعتهم، ومعايير ثقافة مجتمعهم وتشحن النفوس بالمبادئ التي يجب أن يسيروا على هديها.

ويعرف السامرائي رشيد الأدب الشعبي أنّه: "تعبير عن انفعال عاطفيّ أو فكريّ يتّخذ اللّهجة العامّية أسلوبا له في التعبير وتطغى على معانيه السذاجة التي يتميّز بها ابن الشعب المحروم من الثقافة، ولكنها سذاجة لا تخلو من إرهاف الحسّ وبراءة وعفوية في إطلاق المشاعر والأحاسيس وصدق يتجلّى في رسم الصور للبيئة الاجتماعية والفكرية ".[1]

وبما أن المثل الشعبي باب من أبواب الأدب الشعبي فهو محط اهتمامنا إذ يعتبر على مرّ التاريخ المؤطر الرئيسي، والخزان الثقافي الكبير المعبّر عن درجة وعي المجتمع ونظرته لمختلف أجزاء هذه الحياة ومناحيها؛ وشكّل على مرّ العصور ولا يزال يشكل أحد الروافد الخطيرة في تكريس بعض المظاهر الاجتماعية والفكرية المساهمة في قضية النمطية الفكرية حيث أصبح أحد أساليب التربية والتوجيه، والإرشاد التي يعتمد عليها الفرد الجزائري في غرس القيم والأخلاق الحميدة، والصفات النبيلة والطيّبة، ولا يزال المثل يحتكر الساحة الفكرية على مختلف المستويات والأصعدة، فهو من جهة موجه للعقل الاجتماعي نحو النمطية، ومن جهة أخرى مكرّس للقيم الثقافية سلبا أ وإيجابا. هذا المعطى لا يمكن تصوّر خطورته إلاّ في ظل واقع ينتمي لبيئة واحدة وعنصر واحد ولغة واحدة، وتُفرّقه الأمثال الشعبية بوعي أو بغير وعي، عبر ما تختزنه من مدلولات ثقافية وتاريخية.

[1]- أكرم قانصو: التصوير الشعبي، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1995، ص45.

أولا: تعريف المثل الشعبي

وإذا كان المثل الشعبي هو أحد عناصر الأدب الشعبي، فإن تعريفه قد اختلف من دارس إلى آخر حسب نظرة كل منهم.

أما تعريفه لغة: فهو لا يختلف عن التعريف المثل العربي الفصيح، فالمثل يطلق على عدّة معاني هي: الشبه، النظير، الصفة.

أما في الاصطلاح:

الأصل السامي العام لهذه الكلمة في العربية:"مثل"وفي العبرية "Masal" وفي الآرامية"Matla" وفي الحبشية "Mesel" وفي الأكادية "Meslum" ويتضمن اشتقاقها معنى الكلمة المماثلة كما برهن على ذلك "أوتوا أيسفلد" في مقال"المثل في العهد القديم"[1].

وقال الفارابي في ديوان الأدب: المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه و معناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، و وصلوا به إلى المطالب القصّية وتفرّجوا به عن الكرب وهو أبلغ من الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مُقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في المنافسة[2]، كذلك يطلق المثل في القصة العجيبة "الشأن" أو"الحال"، كقوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[3]، أي قصتها أو صفتها.

---

[1]-رودولف زلهايم: الأمثال العربية القديمة، تح: رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، ط3، 1984م، ص21.

[2]- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار التراث، القاهرة، ط3، دت، ص486.

[3]- سورة محمد، الآية 15.

وقال المرزوقي في شرح الفصيح:"المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل عمّا وردت فيه إلى كل ما يصح قصدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعمّا يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تُضرَب وإنّ جُهلت أسبابها التي خرجت عنها"[1].

ويقول محمد رضا الشبيبي:"الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم و محصول خبرتهم، وهي أقوال تدلّ على إصابة الموجز وتطبيق المفصّل، هذا من ناحية المعنى، و أما من ناحية المبنى فإنَّ المثل الشرود يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية وجمال البلاغة... والأمثال ضرب من أحسن ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كلّه عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميّز الأمثال عن الأقاويل الشعرية"[2].

وبالمثل عرَّف الأستاذ أحمد أمين الأمثال الشعبية بأنها:"نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكتابة ولا تكاد تخلو منها أُمّة من الأمم، ومزيّة الأمثال أنّها تنبع من كلّ طبقات الشعب"[3].

وعرّفه الأستاذ فريدريك زايلر وذلك في مقدمة كتابه القَيّم"علم الأمثال الألمانية" بقوله:"القول الجاري على ألسنة الشعب، الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة"[4].

ويتضح من خلال مجموعة التعريفات أنّ المثل الشعبي ذو طابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على الكلام المألوف بالرغم من أنّه يعيش في أفواه الشعب.

[1]-جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص486.

[2]- جلال الحنفي: الأمثال البغدادية، الجزء الأول، مطبعة أسعد بغداد، دط، 1962، ص3.

[3]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، دط، دت، ص139.

[4]- المرجع السابق، ص140.

ثانيا: أنواعه

ذكر الدارسون للمثل ثلاثة أنواع هي:

1- المثل الموجز:

وهو القول السائر الموجز، الذي يشتمل على معنى صائب، وتشبيه فيه حالة مضربة بحالة مورده، وهذا النوع من الأمثال هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ (مثل)، وهو الذي عني به جامِعو الأمثال، وتدخل فيه الحكم التي فشت بين، كما تدخل فيه الأمثال الشعرية.

كقولمِعْن بن أوس:

أُعَلِّمه الرَّمايَةَ كلَّ يومٍ فلمَّا اشْتَدّ ساعدُهُ رَمَانِي

وقول لبِيد:

ألا كلُّ شيْءٍ ما خلا اللَّه باطلُ وكلُّ نعيم لا محالة زائلُ

وتدخل فيه الأمثال على وزن (أفعل من) مثل: أجود من حاتم، أكذب من مسيلمة.[1]

2-المثل القياسي:

وهوذلك السرد الوصفي أوالقصصي الذي يستهدف توضيح فكرة ما، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل الذي يقوم على المقارنة والقياس، وهو يتناول أحد أمرين: إمّا أن يصوّر نموذجًا من السلوك الإنساني يقصد التأديب، أوالتمثيل والتوضيح وإمّا أن يجسَّد مبدأ يتعلق بملكوت الله تعالى ومخلوقاته، وهذا النوع من الأمثال يكاد يكون معدومًا في مدونات الأمثال العربية القديمة،ولكننا نجده بكثرة في القرآن الكريم وفي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم نسج حكماء الإسلام أمثالا

[1]- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية(دراسة تاريخية تحليلية)، ص28.

قياسية على منوال أمثال القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويورد عبد المجيد قطامش نموذجًا من أمثال الإمام علي –كرم الله وجهه– فقد رُوي عنه قوله: "مثل الدنيا كمثل الحيّة، ليِّن مسُّها والسّم النافع في جوفها، يهوى إليها الغِرُّ الجاهل، ويحذرها ذو اللّب العاقل"،وقوله:"مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف،يسخن بطيئا، وتبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمن ".[1]

3-المثل الخرافي:

هو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان، أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله، جعلوه فيها يتحدث ويفعل كما يتحدث الإنسان ويفعل، يقصدون بذلك التسلية، أو الحث عن مكارم الأخلاق، وربما كان هذا النوع بسبب مخالطتهم للحيوان في الحياة البدوية.ويُصنّفُ عبد المجيد قطامش الأمثال العربية التي تتصل بالخرافات صنفين:

أ–صنف أجراه العرب على ألسنة الحيوان نفسه:خلال الأحداث التي حاكوها حوله، ومنه الأمثال المشهورة التي أجروها على لسان الضب حين اختصم إليه الأرانب والثعلب في تمرة وجدها الأرنب فاختلسها الثعلب وهي "في بيته يُؤتي الحَكَم،حُلوْاً جَنَيْتِ، البادئ أظلم، حُرٌّ انتصر حدَّثْ حديَثَيْن امرأةً فإن لم تَفْهم فأربعة "، ومنه المثل الذي أجروه على لسان الحية في حكاية "الحية والفأس" وهو قول الحية للرجل "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك "!

ب–وصنف بناه العرب على حكايات خرافية: كقولهم: "كرَحم الفيل من الحمار " فهذا المثل مبني على الخرافة "الفيل والحمار" وخلاصتها أنها اجتمعا ذات يوم في مرعى، فطرد الفيل الحمار، فقال له الحمار: لماذا تطردني مع اشتباك الرحم بيني وبينك ؟ فقال الفيل من أين هذا الرحم؟ فقال الحمار: من أجل أن في غرمولي شبها من خرطومك، فقيل الفيل هذه القرابة.[2]

[1]– المرجع السابق، ص31.

[2]– عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية(دراسة تاريخية تحليلية)، ص33.

ثالثا: خصائصه ومميزاته

يمتاز المثل الشعبي كغيره من فنون الأدب الشعبي، بمجموعة من الخصائص والمميزات،وهي تشترك في أكثرها مع عناصر الأدب الشعبي الأخرى. فابن المقفع جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق وآنف للسمع، وأوسع لشعوب الحديث[1]؛ فقد ذكر ثلاث خصائص للمثل وهي:وضوح المعنى، وجمال الأداء، وعموم الدلالة.

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام في تعريفه للمثل وذكر خصائص:"هذا كتاب الأمثال وهي حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"[2].

أما ابن عبد ربه فيشير إلى خاصية الشيوع والتداول في المثل عموما، فيقول:"والأمثال هي شيء الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان فهي أبقى من الشعر، وأشرف من خطابة لم يسر شيء مسيرتها ولا عمّ عمومها"[3]، فهنا ابن عبد ربه جعل المثل أحسن نوع أدبي وفضله على باقي الفنون التعبيرية الأخرى ولا أحد يقوم مقامه.

والمثل عند الأستاذة نبيلة إبراهيم خلاصة التجارب ومحصول الخبرة، إذ يحتوي علىمعنى يُصيب التجربة والفكر في الصميم؛ ويتمثل في الإيجاز وجمال البلاغة[4].

أما المثل عند جمال طاهر وداليا جمال طاهر في كتابه"موسوعة الأمثال الشعبية " فيراه أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة. فهو نهاية

[1]- أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، أبو الفضل النيسابوري: مجمع الأمثال، ج1، دط، دت، ص14.

[2]- رودولف زلهايم: الأمثال العربية القديمة، تح: رمضان عبد التواب، ص23.

[3]- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج3، تح: عبد المجيد الترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص3.

[4]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص174.

البلاغة؛ كما أنه جملةمفيدة دقيقة العبارة؛ وأنّ غالبية الأمثال جمل موسيقية متجانسة الأوزان والكلمات سهلة الإيقاع والتناقل والحفظ[1].

ويرى محمد عيلان من خلال كتابه "محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري"، أن أهم خاصية تطبع المثل الشعبيّ هي خاصية التربية و التعليم ومنح المعلومات جاهزة؛ وأنّه أكثر ما يعبر عنه هو التجربة الفردية دون إغفال التجربة الجماعية. كما أشار إلى أنّ وراء كلّ مثل قصة حتى وإن لم تذكر المهم ولكنّنا نستطيع أن ننسج قصة صاحبه عند التعبير عن الحدث. وهو ما يفرقه عن الحكمة والقول، وكذلك التسليم لذوي السلطان والجاه والإيمان بكفاءتهم وقدرتهم على إدراك الأوضاع بنسبة عالية، إلا أن معظم ما تعبر عنه هذه الخاصية لا يصدر إلا من طبقة دنيا فقيرة معدومة كقولهم:"خذ العلم على السادات والنساء على اللمات"، "اتوصو علينا يا اللي حكمتو جديد احنا عبيدكم وأنتم سيد ". كما أنّ المثل يعبر عن التناقض الذي يعيشه الإنسان وفقا لمزاجه، والمثل الشعبي لا يناقش بل يتم التسليم بما يشير به دون جدال أو تأمّل لأنّ محتواه أخذ تأشيرة تداوله من الماضي وفي سياق الحاضر. وهو مجهول القائل ولا يتداول اسم قائله ليظل ينسب إلى العقل الجمعي؛ وإذا ما نسب لشخص ما فإن العامة لا تتداوله ما عدا ما ينسب إلى حكماء عرفوا برجاحة العقل و سعة المعرفة وحنكة التجربة. ويمتاز المثل بالصياغة اللغوية المحكمة والاختصار في الكلمات ذات الدلالة المكثفة سواء عن طريق الاستعارة أو المجاز[2].

أمّا زايلر فيدعم هذه الخصائص بالإشارة إلى الطابع الشعبي والتعليمي، وأنّ له شكلا أدبيا مكتملا إذ يسمو عن الكلام المألوف. ..[3]

ومن هذه الآراء يتضح أنّ المثل لابدّ أن يحتوي على فلسفة ليست بالعميقة مصوّغة في أسلوب شعبي، بحيث يدركها الشعب بأسره ويردّدها. أبرز ما يتميز به المثل حركته الإيقاعية التي تنجم عن

[1]- جمال طاهر، داليا جمال طاهر: موسوعة الأمثال الشعبية(دراسة علمية)، دط، دت، ص26.

[2]- محمد عيلان: محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، ج1، دار العلوم، 2013، ص94.

[3]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي،ص140.

استخدام الوزن و الإيقاع. وإذا كانت هاتان الخاصيتان في الشعر من شأنهما أن يعينا على عرض الصور اللغوية المتماسكة عرضا يستمر من الحركة النفسية، فإنهما في المثل من شأنهما أن يضعا الشكل اللغوي المقفل، فما إن تنتهي العبارتان المتحدتان على وجه التقريب في الوزن والإيقاع حتى ينتهي المثل، ومثال ذلك:"قصقص طيرك لا يلوف بغيرك"، "العبد في التفكير والرب في التدبير"، "حبيبك يضع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط"، وقد يستعين المثل بأسلوب التكرار فضلا عن الوزن والإيقاع وذلك لزيادة عنصر التأثير، ومثال ذلك:"حبيب ماله،حبيب ماله، وعدو ماله، عدو ماله"[1].

وقد يكون للمثل طابع الحكاية ومثل هذه الأمثال تستخدم كلمة القول على سبيل الحكاية « قالوا للجمل زمر، قال: لا فم مضموم ولا صوابع مفسرة»،« ضربوا الأعور على عينه، قال خسرانه خسرانه»[2].

- **أما عن خصائص المثل بوادي سوف:**

فعندما نتحدث عنالأمثال بوادي سوف فلا يعني ذلك أنّ كلّ الأمثال هي من النتاج الفكري الأصلي للمنطقة بل حديثنا عما تتداوله الألسن، فمن الأمثال ما كان مولده بها، ومنها ما تناولته الأفواه و اعتادته المسامع في وادي سوف وفيالجزائر العاصمة وفي وهران وفي الدول المجاورة وأحيانا في دمشق أو بغداد أو... وبنظرة فاحصة للأمثال المتداولة بوادي سوف سنجد جزءا هاما منها أمثالا حكيمة مستلهمة من القرآن الكريم والسنة النبوية ودواوين شعر الحكمة والكتب التي تلخص تجارب الأقدمين وتهدف إلى توجيه وتقويم الاعوجاج نحو:"إذا كَانْ الكِذِبْ يْنَجِي الصِدِق أنْجَى وْأنْجَى". كما أن الأمثال بالوادي مبنية على أحداث وقصص واقعيَّة ولذلك فهي وليدة المنطقة وخاصّة بها ومنها: "الطُوِيلَة ما نِزْقَاهَا وِالقْصِيرَة فيها الشُوكْ"، "هايْ مُكْحُلْتِي وْخُوذِي حُورِي"، "ما سُرْقولِيَرْنوسي نَحوهْ مِنْ اكْتَافِي نَحَّانْ"، ثم إنها أمثال رمزية تأخذ من الحيوان رمزا للتحرّر من القيودالسياسية والاجتماعية

[1]- المرجع نفسه، ص146.

[2]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص146.

أحيانًا. وعليه نجد الكثير من الأمثال ناطقة باسم الحيوان وخاصة الذئب، كقولهم: "الذيب قال المكْتُوب وِمْعاهْتِنْقِيزَة"، "غِيبْ يا قُطْ ألعب يا فار"، وهناك أمثال تضمّنت أسماء لمدن تونسية، نظرا للتعامل الكبير وفي شتى المجالات بين أهل سوف والجنوب التونسي خاصة، فقد ظهرت العديد من أسماء المدن التونسية في الأمثال الشعبية ذات الأصل السوفي كقولهم: "باتْ لِيلَة في نِفْزاوَة تْلَحَفْ شَرْقِيّ"، "أَسْتَني يا دِجاجَة حتَّى يْجيكْ القَمَحْ مِنْ باجَهْ"[1].

رابعا: مصدره ووظيفته

1. مصدره :

تعد الأمثال أداة طيعة منتشرة بين فئات شعبية بسيطة التفكير فهي تعتبر حكمة الشعب وفلسفته أو حكمة الأجيال التي سبقتنا، وبالتالي فقد دعا زايلر إلى وجوب احترام فكرة الفردية فيخلق المثل الشعبي معارضا في ذلك كل المعارضة الفكرة السائدة التي افترضت مساهمة الشعب بوصفه وحدة في خلق نتاجه الأدبي. فالأمثال الشعبية من وجهة نظر زايلر أنّ الشعب –بوصفه كلا–أن يخلق شكلا أدبيا مكتملا بأي حال من الأحوال، وإنما يعتمد كل خلق وكل ابتكار واكتشاف على شخصية مفردة. ولابد أن كل مثل قد نطق به فرد في زمان معين ومكان معين. فإذا مسّ المثل حِسَّ المستمعينله، فهو حينئذ ينتشر بينهم وكأنه عبارات ذات أجنحة وعندئذ يتعرض المثل للتحوير والتذهيب حتى يوضع في قاليه القانوني بوصفه مثلا شعبيا.[2]

وباستعراض مصادر المثل الشعبي نرى أنه يستمد من مصادر عديدة،على سبيل المثال هناك:

- ما استمد من حكاية أو نكتة شعبية.
- ما اقتبس عن الفصحى بنصه أو بشيء من التغيير على لغتها.
- ما استمد من كتب التراث.

[1]– بن علي محمد الصالح: 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ص11.

[2]– نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص140. 141.

- المستمد من الأغاني الشعبية.
- ما هو خلاصة تجارب و ممارسات عديدة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب.
- أمثال تحمل توصيف دقيق لأعماق النفس البشرية أو التجربة الإنسانية العامة
- أمثال مستمدة من خلال التعامل مع الشعوب وثقافات أخرى.[1]

2. وظيفته :

اختلف الدارسون في تحديد المثل الشعبي واعترف أكثرهم بأنّ تعريف المثل الشعبي صعب، بل لقد ذهب "وتنج" إلى أنّه من المستحيل تعريف المثل الشعبي تعريفا موجزا، كما أكّد آرثر تايلور أن كتابه كله عبارة عن تعريف للمثل الشعبي لذلك لجأ البعض إلى تعريف المثل انطلاقا من وظيفته كما لجأ آخرون إلى تعريفه انطلاقا من بنيته. فالمثل تعبير عن التجربة، فحين نتساءل عن استحواذ المثل على هذه الشعبية وعن سبب استخدام جميع الناس للأمثال، تقول الباحثة نبيلة إبراهيم: إنّنا إذا تأملنا الحياة بوصفها صنوفا شتى من المدركات والأحوال المعاشة فإننا نلاحظ أنّ هذه المدركات والأحوال تنتمي إلى ما نسميه بالتجربة، وعلى الرغم من أن هذه التجارب يتكرر حدوثها كلّ يوم، فإنّها تظل وحدات متنوعة وتظل كلّ تجربة تدرك في كل مرة في حد ذاتها، كما أنّ قيمتها تعيش فيها وحدها، فإذا حاولنا أن نخضع هذه التجارب عن النظام الكامل في حياتنا وقد تعبر عن أحوال عالمنا الذي تسير فيه الأمور على غير هدى، فمثل (ابن الوزّ عوام)يعبّر عن مدرك من مدركات الحياة، يصح أن يكون قاعدة، لكنّنا نفاجأ بمثل آخر يناقضه تماما وهو (باب النجار مخلع) فإذا بالمثلين يقف كل منهما على حدة ليعبر عن تجربة منفردة، وهذا يدل على أنّ عالمنا ليس نظاما كونيا يخضع لقوانين محددة إنّما هو عالم الغرائب عالم تجريبي اختباري.[2]

[1]- جمال طاهر، داليا جمال طاهر: موسوعة الأمثال، ص28.

[2]- أحمد زغب: الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة سخريه، الوادي، ط 2، 2012، ص90.

خامسا: أهميته وعلاقته بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية

تبدو أهمّية الأمثال الشعبية واضحة إذ هي وسيلة تربوية فيها التذكير والوعظ والحثّ والزجر وتصوير المعاني تصور الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ولذا قيل: "المثل أعون شيء على البيان".[1]

فللمثل دور كبير في حياة الفرد والمجتمع، لأنّ الإنسان لا يعيش في عالمه الكبير، بقدر ما يعيش في عوالمه الصغيرة، أي في تجاربه، وكلّما عاشهذه التجارب وأحسّ بوقعها على نفسه كان أشدّ ميلا للتعبير عنها وعن نتائجها، فقد يحدث أن يفشل في أمر ما كان يتوقع نجاحه فيه، فإذا شاء هذا الشخص أن يصف سوء مصيره وعجزه لشخص آخر يدرك موقفه تماما فإنّه يعبرّ عن ذلك بكلمة(حظّ)[2]. فالمثل هو وسيلة لنقل تجارب الفرد سواء كانت مفرحة أو محزنة، فهذا تعبير عن موقفه يحيل إلى موقفين: إما إصراره على مشاركة الناس بأفراحه و همومه وإطلاعهم عليها وإما بهدف أخذ العبرة منها، فالمثل هو رصد للسلوك الإنساني في حالات ومواقف متغيّرة، فهو يهتم بالعلاقات الاجتماعية المتداخلة، كما أنّه يستعمل طريقة الإرشاد، حيث يقوم بعرض المواقف ثم يترك الفرصة للفرد في الالتزام بذلك السلوك أو يتجاهله.[3]

وبالتالي فالمثل يحتلّ مكانة مرموقة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى، فهو الأداة التعبيرية الأكثر تداولا بين الناس، "إنّنا نعيش جزءا من مصائرنا في عالم الأمثال، ولعلّ هذا ما يفسّر استعمالنا الدّائم على عكس الأنواع الشعبية الأخرى. فالأمثال تنبع من الشعب، وهدفها هو التعبير عن واقعه، وعن ظروف عيش السكان، عن نسائه ورجاله، عن مختلف المواقف الاجتماعية التيتحدث في الحياة، ورغم بساطتها إلاّ أنّ لديها أهمّية ومكانة متميزة، تنفرد عن سائر أشكال التعبير الشعبي".[4]

---

[1]- علي بن محمد بن حبيب الماوردي: الأمثال والحكم، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، قطر، ط1، 1999، ص20.

[2]- أحمد زغب: الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، ص90.

[3]- قاسمي كهينة: الأمثال الشعبية بمنطقة المهير- دراسة تاريخية وصفية- رسالة ماجستير، ص85-86.

[4]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص147.

يمكن تحديد أهمية الأمثال الشعبية من خلال العائد من استخدامها أو فائدتها والأهداف المراد تحقيقها من قولها؛ فالمثل الشعبي يلعب دورا مميزا في إبراز القيم الاجتماعية كالتماسك والاحترام والتقدير والترابط الأسري والمجتمعي والتعامل بين أفراد المجتمع وما يسود ذلك من علاقات اجتماعية. كما يعمل على تنمية القيم الاقتصادية في المجتمع كالعمل والحرص عليه وتقديره، والدقة والمحافظة على الثروات الطبيعية، والوعي بأهمّية القيم الاقتصادية.[1]

وخلال تداول المثل فإنّ أفراد المجتمع يسعون إلى المحافظة على التقاليد والعادات وترسيخ معاييرهم الدينية والأخلاقية ومن ثم تعميمها بين مواطنيهم كما تعدّ الأمثال الشعبية حكمة الشعوب، والمرآة التي تعكس مشاعر الناس على مختلف مستوياتهم؛ وهي المتنفّس الأكثر استخداما لمشاكل الناس والمعبّر عن همومهم؛ فهي بمثابة معايير أخلاقية يضعها عقلاء القوم لتكون ضابطا سلوكيا ومنهجا أخلاقيا لعامّته وخاّصته يتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل؛ ثمّ إنّها تساهم في سرد كفاح الشعوب في عبارات موجزة سهلة الحفظ والتلقين.[2]

[1]-حارص عمار: القيمة التربوية للأمثال الشعبية، ينظر الموقع الإلكتروني: Email – :hares go 2006 @yahoo.com

[2]- الموقع نفسه.

خلاصة

وممّا سبق نستنتج أنّ الأمثال الشعبية أكثر أنواع الأدب الشعبي قدرة على حفظ وحمل وترجمة أفكار وأذهان أفراد المجتمع، وكذا عاداته وتقاليده وأعرافه ومعتقداته الاجتماعية، بمعنى أنّها تعدّ وعاءً تصبّ فيه ثقافة المجتمع الذي أنتجها، وحافظ عليها بالتداول والتناقل، جيلا بعد جيل، فالمثل الشعبي يعبّر عن فلسفة المجتمع وأحلامه وآماله في الحياة. فهو بهذا يحتلّ مكانة بين أشكال الأدب الأخرى، لأنّه يأتي في مقدّمتها، فهو الأقدر على تصوير الحياة الاجتماعية وما

يدور فيها من علاقات وتعاملات وأحداث وغيرها وبالتالي يتميز بخصائص ومزايا أهَّلته للشيوع والتّداول بين الأوساط الشعبية كالإيجاز وهذا ما ساعده على التّناقل.

وللمثل وظيفة يؤدّيها، كما أنّه يقوم بدور هام في الحياة ويؤدّي إلى أقوى أنواع التأثير على السلوك الإنساني، وله مصادر عديدة من أهمّها المجتمع نفسه فهو أهم مصدر في إنتاج المثل؛ فالفرد مسؤول عنه حسب عاداته وتقاليده والبيئة التي يعيش فيها.

وللمثل أهداف أهمّها أنّه وسيلة لنقل تجارب الفرد سواء كانت مفرحة أو محزنة، ومن هنا يمكننا القول بأنّ المثل الشعبي ينسجم تمام الانسجام مع متطلبات البيئة الاجتماعية المعقّدة. فالهدف أولّا وأخيرا محاولة تقويم سلوك الفرد بتوجيهه الوجهة السليمة التي فيها الخير والسلام له ولأبناء مجتمعه.

الفصل الثاني

الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف وأبعادها الدلالية

أولا: البعد الاجتماعي

ثانيا: البعد الديني

ثالثا: البعد الأخلاقي

رابعا: البعد الاقتصادي

تمهيد:

الثقافة الشعبية هي نتاج الأمّة ووعيها بحراكها الاجتماعي وبيئتها،إنّ وعينا بالثقافات الشعبية للمجتمعات الإنسانية، يعني وعينا بقدراتها العقلية، وطاقاتها التبادلية. ويُعدّ المثل أحد فروع الثقافة وأكثرها ثراء، إذ يجسد تعبيرًا على نتاج تجربة طويلة للأمّة تخلص إلى عبرة أو حكمة. ومجموعة الأمثال الشعبية تكوّن ملامح فكرية شعبية ذات سمات ومعايير خاصّة، وهي جزء مهمّ من حياة الشعب وأسلوب عيشه ومعتقداته ومعاييره الأخلاقية.

إنّ اهتمام الناس بالأمثال حقيقة حضارية تشمل الأمم كافّة، فلا شكّ أنّ للأمثال أثرًا كبيرًا في حياة الناس على اختلاف ثقافاتهم ومعارفهم، ومن ثم فإنّنا نجدهم يحتفون بها احتفاء كبيرًا في مجال الكتابة والحديث.

وفي إطار بحثنا هذا نحاول معرفة مدى ارتباط المجتمع السوفي بالأمثال الشعبية، ولذلك حرصنا على جمع الأمثال وانتقائها حسب ما تيسّر لنا كما قمنا بتصنيفها تبعًا لأبعاد متعلقة بحياة الإنسان السوفي من نواحٍ عديدة؛ اجتماعية ودينية وأخلاقية واقتصادية.

ولقد توصلنا إلى أنّ سوف منطقة زاخرة بالأمثال الشعبية التي تصور ثقافة المجتمع السوفي وتدفعنا إلى اكتشاف أبعادها الدّلالية.

أولاً: البعد الاجتماعي

يعد قوام المجتمع من واجب الإنسانية، فلهذا جاءت الأمثال الشعبية في الجانب الاجتماعي تُظهر العلاقات القائمة بين بني البشر كعلاقة المرأة بالمجتمع ودورها فيه ،وعلاقتها بالرّجل، والعلاقات الأسرية بين الأم والأب والأبناء. ومن العلاقات التي أوحى بها الدين الإسلامي ودعا المسلمين إلى توطيدها والحفاظ عليها، كحماية الجار وحسن اختيار الصديق؛ فالأمثال الشعبية السوفية توحي بالرّبط بين هذه العلاقات لتحقيق التكامل الاجتماعي، ومن هذه الأمثال الشعبية ما خصّ المرأة.

1) المرأة

اهتم المبدع الشعبي بالمرأة في أمثاله الشعبية؛ لأنّها نصف المجتمع، بل أمّ المجتمع، وهذا الاهتمام ليس مقصورا على الأمثال الشعبية وحدها بل نجده في كلّ الفنون التعبيرية؛ والأمثال الشعبية أكثر رواجا وانتشارا من الفنون الأخرى لسهولتها وقصرها وأبعادها، لذلك حمّلها المخيال الشعبي رؤيته للمرأة،لأنّها هي الأم والزوجة والابنة والأخت والعمّة والخالة فهي كل شيء لأنها هي التي تربي وتنجب وتقوم بشؤون البيت؛ وديننا الحنيف مجّدها وجعلها في مرتبة متساوية مع الرّجل في الحقوق والواجبات وفي الخلق والعبادة وفي العمل وفي كل مجالات الحياة وهذا ما بيَّن أهمية المرأة في المجتمع؛ ومن الأمثال التي قيلت في المرأة مايأتي:

*** اقْلِبْ القِدْرَه عَلَى فُمْهَا تَطْلَعْ البِنِتْ لُمْها***

اقلِب: بكسر اللام وهي قلب الشيء على رأسه. والقِدره: بكسر القاف، وهي التي نطبخ فيها الأكل، على فمها: بضم الفاء وتسكين الميم، يعني رأسًا غلى عقب، لُمْها: بضم اللام وتسكين الميم، يعني الأم. ويطلق هذا المثل على المرأة التي لها نفس طباع أمّها.

*** الضُرسْ العَليْلَه لِيْها الكُلابْ وِالمَرَاه النِطيْله لِيْها الطِلاقْ ***

يضرب هذا المثل في المرأة التي لا تستطيع تحمّل أعباء البيت فتبقى نائمة طول النهار أو تتمارض لذلك وجب تطليقها لأنّها لا تصلح ربة بيت.

*** هاهِيْ مُكْحُلْتِيْ وْخُوذِيْ حُورِيْ ***

يضرب هذا المثل في ترك المسؤولية كلها وتوكيلها لشخص آخر، وهذا المثل له مورده: في وقت الثورة كانت هناك زوجة كرهت زوجها فأرادت أنّ تتخلص منه فأصبحت دائماً تطلب منه أنّ يصعد إلى الجبل للجهاد ولكن لم يستجب لها، فأصبحت تمنّيه بِحُور العين وتقول له: اذهب جاهد وإذا استشهدت ترزق بحورية جنّة أفضل منّي؛ سئم الرّجل من إزعاجها فرمى إليها البندقيّة(مكحلة) وقال لها: هاهي مكحلتي وخوذي حوري.

*** اللِي يْديرْ حاجَة النَّسَوينْ يَشْبَع ***

بمعنى أنّ كلّ ما يتعلق بالمرأةمن ملابس أو مستحضرات التجميل أو غيرها... يحصد صاحبها ربحاوفيرا، فكلمة (يشبع)بمعنى النجاح أو الأرباح، أما مورد هذا المثل،فقد كان هناك رجلُ فتح محلاً لبيع الملابس الرجالية فسأله أبوه عمّا فعل فأجابه الابن عن ذلك، فضحك الأب منه وأخبره أنّ تجارته لن تحصد ربحاً، فنصحه باستبداله بالملابس النسائية فالمرأة بطبيعتها تحبّ الملابس وكلّ ما يتعلق بالموضة فقال له هذا القول: "اللي يدير حاجة النسوين يشبع".

*** ضُحْكِ النْسا على النْسا أَعْطِنِي عَشاكْ اندِيرَهْ حَساءْ ***

يضرب هذا المثل في مكر وخداع النّساء فيما بينهن، سواء أكان في طريقة لبس أو طبخ فهو مجرد كلام فقط. ولكن لو كان ذلك الشيء لها لأعجبها، أي أنّها تغار منها كثيرا ولهذا كل ما تفعله تنهاها عن فعله فهي تحاول أن تقول بأنّها أفضل منها في هذه الأمور.

ضَرْبِ النْسا بالنسَا ماشِي بالعَصا

يضرب هذا المثل في جرح عاطفة المرأة، فليس هناك أكثر من أن تكون مهجورة غير مرغوب فيها من قبل زوجها، وأن ينشغل باله بامرأة أخرى (ضرة)، فهذا أسوأ أو أخزى لها من الضرب بالعصا.

*** النْسا ياسِرْ وِالقِرْبَهْ يابْسَه***

يضرب هذا المثل على البيت الذي كثرت فيه النساء، وكلّ واحدة منهن تُعَوِّلْ وتَتَّكِل على الأخرى في القيام بأعمال المنزل وشؤونه حتى في أبسط الأعمال.

وهناك أمثال لم تعد مسموعة ومستعملة في الوسط الاجتماعي السوفي ومن هذه الأمثال نذكر:

*** لاهيْ أُخْتُكْ وْلا بِنْت عَمَكْ لا تِمْشي بِهْبالِكْ احْلِفْ يا ماتِتْ أُمُكْ صِديقْ النْسا ما بَقالِكْ***

ودلالة هذا المثل أنّه لا صديق للرّجل من دون الأمّ، أما باقي النّساء سواء كانت الزوجة أو الأخت أو البنت فليس لهم أمان، فهذا المثل يضرب في التعظيم و الرفّع من شأن الأم، وفي نفس الوقت ذمّ باقي النّساء والتقليل من شأنهن، فهذا المثل يصور بعدا دلاليا اجتماعيا في أنّ العلاقة الصادقة الوحيدة بين الرجل والمرأة هي علاقة الابن بأمّه؛ عن أبي هريرة رضيَّ الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، من أحقُّ بحسن صحابتي؟ قال: (أُمُّك)، قال: ثمَّ مَن؟ قال: (أُمُّك)، قال: ثمَّ مَن؟قال: (أُمُّك)، قال: ثمَّ مَن؟ قال ثم أبوك »[1].

ثم نستنتج أنّ الأمثال الشعبية تناولت موضوع المرأة بكثرة في المجتمع، لأنّ لها أهمية كبيرة فهي أمّ وأخت. فهي أساس وجود الأمّة بأكملها؛ ولكن صورة المرأة تتصف بالاختلاف والتعدد في الأمثال إلى مستوى يصعب معه إيجاد رابط يجمع بينها فبقدر ما نجد أمثالا تمجد المرأة وترفع من شأنها كالأم، بقدر ما نجد أمثالا أخرى تحط من مكانتها كوصفها بالمكر والخداع.

[1] – أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح مسلم، دار بن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2002م.

2) الزواج:

الزواج هو علاقة مقدسة تجمع بين الرجل والمرأة، ويجب أن تبنى على أساس متين وقويّ، ويسوده المحبة والتفاهم والترابط بينهما، ويجب أن يفهم كلّ منهما الطرف الآخر، وذلك لتكون الحياة الزوجية حياة سعيدة وخالية من المشاكل التي تنتج عادة من اختلاف في وجهات النظر، أو عدم قدرة أحد الطرفين على فهم الآخر. قال تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.[1]

ولكن الزواج في منطقة وادي سوف يهتم أولاً باختيار المرأة المناسبة ثم تأتي فترة الخطوبة لأنّها تعتبر أوّل خطوة في الزواج وهذه الفترة تتضح من خلال المثل السوفي الآتي:

*** ما يِعجْبِكْ نُوار دِفْلَهْ في الواذْ دايرْظِلايِلْ وْلا يِعجْبِكْ زينْ طُفْلَه حتى تْشوفْ الفِعايِل ***

(نوار = أزهار) و (دفله = نوع من العشب) و (زين طفله = جمال البنت) ودلالة هذا المثل أنّ الإنسان لا يجب أن تغره المظاهر الخارجية حتى يتأكد من الأفعال والسلوكيات لأن مظهر الإنسان وأقواله قد تختلف في كثير من الأحيان عن أفعاله وجوهره.

*** اللِي بارَتْ عَلى سَعَدْها دارَتْ ***

ويضرب هذا المثل في التي لم تتزوج باكرا تكون سعيدة مع زوجها.

*** زُواجْ ليلَهْ تَدْبيرْتَهْ عامْ ***

ويضرب هذا المثل في عدم التسرع والتأني في موضوع الزواج أو في القيام بأمر ما يجب التفكير فيه مليًّا.

[1]- سورة الروم، الآية 21.

*** اللِيْ تَعَرْفُو خيرْ من اللي ما تَعَرْفوشْ ***

ويضرب هذا المثل في طلب القرب بالمصاهرة، بمعنى أنّ الشخص المعروف من العائلة و الأقارب أفضل من الغريب المجهول. لأن اختيار الزوجة مسؤولية الوالدين فهما الشخصان الوحيدان اللَّذان يحق لهما ذلك. ويقال أيضا:

*** زِيتْنا يْبَسَسْ دِقيقْنا ***

ويضرب هذا المثل لتبرير زواج الأقارب، أي أنهم أحقّ من غيرهم لأنّه تحصل منه الفائدة.

*** خَنْفوسَه تِلْهِينِي وْلا غَزالْ يْشَقِينِي ***

ويقصد بالمرأة الذميمة في خلقتها، أما الغزال المرأة الجميلة الخلقة، ويضرب هذا المثل في تفضيل الزوجة الوفية والمخلصة والودودة وإن كانت ناقصة جمالاً عن الزوجة سيئة الخُلُق والطباع حتى ولو كانت بارعة الجمال.

*** دالَهْ دالَهْ مُولَى العِرْس يْوَسَّعْ بالَه ***

يضرب هذا المثل على أهل العرس، أي الاستعداد للمصاريف التي سيتعرض لها أهل العريس، أو أهل العروس، سواء أكانت ماديةً أو معنويةً، وأهل العريس مصاريفهم أكثر من أهل العروس.

ومنه يمكننا القول بأنّ الأمثال الشعبية في سوف تعرضت لموضوع الزواج ابتداء بالخطبة التي تعد تمهيدًا للزواج، ويبقى الشيء الملاحظ أنّ للرجل هيبة وأهمية في المجتمع أكثر من المرأة. فالزواج في هذه المنطقة أمر مقدس وعظيم، ولا يمكن العبث به، وليس وسيلة للتَّسلية من خلال تسريح المرأة لأتفه الأسباب.

3) الأسرة:

الأسرة هي الخليَّة الأساس، وهي الحبل المتين الذي لا يبلى، ولا ينقطع ولا يوجد مجتمع على سطح الأرض يتكوّن من أفراد مستقلين عن بعضهم البعض ولا تربطهم أية رابطة حتى وإنّ كانت عائلية فقط. ومنه فالأسرة هي نقطة الانطلاق في إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني فهي رابط اجتماعي يتكون من زوج و زوجة و أولاد، وتشمل الأجداد والأحفاد والأقارب، والأمثال الشعبية تناولت موضوع الأسرة وقيمتها و وجوب المحافظة على رابط الدم الذي يجمعها ومنها:

*** اِسْتَنَى ضِناكْ هُوَ فَقْرَكْ وَلا غَناكْ ***

ويضرب هذا المثل في أنّ تربية الأبناء هي مسؤولية الآباء، فمن أحسن تربيتهم كانوا له سندا في حياته، ومن انشغل عنهم ولم يتحمّل مسؤولية تربيتهم عادوا عليه بالنقمة في المنزل أو خارجه؛ أما علاقة الأم بأبنائها فهي جيدة بحكم أنّها حنونٌ على أبنائها ولا ترى عيوبهم، أو ربما تتغافل عنها ومن هنا يمكننا القول:

*** كُلْ قْطيطْ فِي عِينْ أُمَهْ غَزالْ ***

ويضرب هذا المثل في قوة تعلق الأمهات بأبنائهن، فمهما ملأتهم العيوب ففي عيونهن هم أجمل مثل الغزال. فالأم هي عماد الأسرة وقوامها، وهي الجامعة لشملها، لذلك قيل:

*** قَلْبي عَلى وِلْدِي وْقَلْبُوا عَلى الجِمَرْ ***

أي أن الأم دائمة القلق على ابنها من عثرات الحياة، أمّا الابن فلا يشعر بأن أمه تهتم به أيّما اهتمامٍ. فيضرب هذا المثل في حرص الأم الشديد من أخطار قد تعترض أبنائها في الحياة.

*** الحُوشْ إذا غَابْ كِبيرَه غابْ تِدْبيرَه ***

يضرب هذا المثل على أهمية وجود ربّ الأسرة في البيت لأنّ وجوده فرحة كبيرة فهو من يقوم بلمّ شمّل العائلة ونصحهم في جميع الأمور، ولكن إذا غاب هذا المسؤول غاب الاستقرار وقلّ النظام داخل البيت، لذلك فالأم هي نبع الحنان وإنّ غابت غاب النظام.

***وِلْد الفارْ يجِي حَفارْ وْ وِلْدِ القْطْ يجِي يْنُط ***

يضرب هذا المثل لدلالة أنّ الأبناء وخاصّة الذكور يأخذون غالبا نفس طباع وأخلاق الأب. قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾.[1]

*** اللِيْ ما رَضَّ والْدِيْه لا خِيرْ فِيْه ***

يضرب هذا المثل إلى أن النجاح في الحياة مرتبط بالإحسان إلى الوالدين، للحصول على رضا الله عزّ وجلّ في الدّنيا والآخرة فلقد أوصانا الله تعالى بالبرّ إلى الوالدين والإحسان إليهما من أجل استقامة حياتنا في جميع الأمور فهي مرتبطة بدعاء الوالدين لأبنائهم بالخير.

ومن العلاقات الأسرية العلاقة بين الإخوة، فهي تتسم بالحب والتعاون فمهما حدث بينهم من خلافات أو نزاعات، فإنّك تجدهم عند الحاجة يدا واحدة متماسكة يساعد بعضهم بعض ومن أمثلة ذلك ما يلي:

[1]- سورة الإسراء، الآية 23 - 24.

*** خوكْ خوكْ لَوْ كانْ عَدُوَكْ ***

هذا المثل يقوله الآباء والأمهات أو أي شخص آخر يرغب في جمع شمل الأخوة الأعداء والصلح فيما بينهم، فيقال هذا المثل لبيان أنّ الأخوة مهما حدث بينهم من صراع لن يضرّ أحدهم الآخر، ولكن يحدث بعض الاضطرابات بينهم حتى يفضل فيها الصديق على الأخ في قولهم.

*** خوكْ خوكْ لا يْغُرَكْ صاحْبَكْ ***

يضرب هذا المثل الرجل الذي يعادي أخاه من أجل الصديق فالمثل يحذر من ذلك، كما أنّ المثل في الحثّ على تماسّك الأخوة مهما حدث؛ فالصاحب قد يتركك في وقت الشدّة أما الأخ فلن يتخلى عنك مهما كانت شدّة الخصام بينهما ومثل ذلك:

*** خوكْ خوكْ لا يْغُروكْ ***

ويضرب هذا المثل للأخ حتى يحرص على تقوية العلاقة بينه وبين أخيه ولا يغرّه صاحبا أو صديق أو أيّا كان.

*** إذا كانْ خوكْ عَسَلْ تَلَحْساشْ اِكُل ***

ويضرب هذا المثل لتحذير الأخ من استغلال أخيه، أو التحذير من الإساءة للإخوة، كما أنّه يضرب لعدم التمييز بين الإخوة غير الأشقاء، أي الإخوة من الأب أو من جهة الأمّ، فهو تحذير الإخوة من الاستغلال والتسلط على بعضهم البعض.

والملاحظ ههنا أنّ الأمثال الشعبية في وادي سوف تناولت موضوع الأسرة من كلّ جوانبها، بدءا بالتربية التي هي أمر مشترك بين الأمّ والأب، وصولا إلى الحقوق والواجبات التي هي على الوالدين والأبناء معا، ثم العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، وهي العلاقة الأخوية.

4) الجار:

قال تعالى:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾.[1]

يوصي الله عزّ وجلّ في كتابه بالجار والحث على الإحسان إليه، ولكن وردت الأمثال الشعبية بعكس ذلك فهي توصي بالحذر من الجار وبضرورة اختياره قبل السكن ومن هذه الأمثال ما يلي:

*** أُعْقُبْ على جَارِكْ جعَانْ وْمَتُعْقُبْشِ عَلِيْه عِرْيَان ***

يضرب هذا المثل في الجار الذي يكون بمثابة العدو، حيث يدعو المثل إلى تحسين المظهر أمامه حتى لا تشمّت العدو بك والمتمثل في الجار لذا فالبطن لا تظهر الجوع أمّا الثياب فتفضح صاحبها. وقبل أنّ يختار الفرد سكنه عليه أنّ يختار من سيكون جاره فيقال:

*** الجَارْ قَبْلَ الدَار ***

ويضرب هذا المثل في أهمية اختيار الجار قبل شراء أو كراء الدار، لأنّ الجار الحسن والطيب يحقّق راحة في الحياة، أما جار السوء فهو مصدر إزعاج. وفيه يقال:

*** بَدِلْ لِمْراحْ تِسْتَراح ***

بمعنى أنّ تغيير السكن هو الحل الأنسب في حالة عدم التفاهم مع الجار، ويضرب هذا المثل في التعرض للإساءة من قبل الجار.

[1] – سورة النساء، الآية 36.

*** دِيرْ كِيْما دَارْ جَارَكْ وَلا بَدَلْ بابْ دارَك ***

ويضرب هذا المثل في تقليد الآخرين ومجاورتهم، أي يقلد جاره حتى ولو كلفه ذلك تكليفًا زائدا، وغالبًا ما يقال هذا المثل عندما تطلب المرأة من زوجها شيئا ويرفض مطلبها.

ومن كلّ ما سبق نجد أنّ للجار قيمة كبيرة حيث يحرص على اختيار الجار قبل الدار، وقد عبّرت الأمثال الشعبية لمنطقة وادي سوف عن هذه القيمة، وحرصت على وجود التّواصل مع الجار، وعلى بقاء العلاقة نظيفة معه باحترامه وإعطاءه حقّه وذلك ليكون مجتمعنا متكامل ومتكافلاً يسوده الرحمة والرّفق والمحبة والأخوّة؛ فعلى كلّ مسلم المحافظة على هذه العلاقة الطيبة والحرص على بقاءها، وفي نفس الوقت ركّزت على جار السوء وضرورة تبديل السّكن في حال عدم التفاهم معه.

5) الصداقة:

في حياة كلّ إنسان، علاقات وروابط مع آخرين من بني جنسه، قد تمتّن وتشتدّ لتتجاوز علاقات وروابط المصلحة إلى روابط وعلاقات ينسكب في وشائجها بعض من شعار الروح، اصطلح على تسميتها بالصداقة، ولقد اهتمّ الإسلام بأمر الصداقة فقال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[1]. ومن أمثال الصداقة:

*** الصَديْق وَقْتَ الضِيق ***

ويضرب هذا المثل لمن لا يعرف قيمة الصديق الحقيقي الذي يقف بجانب صديقه في السراء والضراء، فالصديق الحقيقي هو من يشاركك كل أحلامك وأفراحك وأحزانك بدون كذب أو تزييف، ويقال في من أساء اختيار الصديق.

[1]- سورة الحجرات، الآية 13.

*** بَاتْ ليلَه مْعَ الدِجاجْ اِصَّبَحْ يْقاقِي ***

يضرب هذا المثل في من لا يحسن اختيار الأصدقاء فيتأذى من تصرفاتهم ومواقفهم، فليس من الصواب أنّ يتّخذ الإنسان أصدقاء بلا حساب، كما أنّه ليس من الصحيح أيضًا أنّ يعيش الإنسان في عزلة عن الناس، لأنّ العزلة حالة مخالفة لفطرة الإنسان الاجتماعية بالطّبع، فلهذا عليه أنّ يصادق الطيبين، وأنّ يتعامل معهم بإحسان وليس بأسلوب مخالف لذلك؛ كما يقال في حسن الاختيار.

*** تَبَّعْ العَطارْ تْنالْ رُوايْحَه وْتَبَّعْ الحَدادْ تْنالْ سُوايْلَه ***

فهذا المثل يضرب لشخص وجب عليه معرفة الصديق بمعرفة أخلاقه وأسلوبه وكيفية تعامله مع الناس، فالذي يتبع صديق السوء ينال منه الإساءة إلى غيره، أما الصّديق الطيب والمحبّ فهو من يحبّ لغيره كما يحبّ لنفسه أي أنّه إذا اتّبع صديقًا حسنًا نال منه معاملة حسنة كالعطار الذي لديه رائحة طيبة.

وممّا سبق نجد أنّ الصداقة هي علاقة اجتماعية تقوم على مشاعر الحب والجاذبية المتبادلة بين شخصين أو أكثر، ونظرا لأهمية هذه العلاقة ورد ذكرها في الأمثال الشعبية السوفية.

ثانيا: البعد الديني

لاشكّ أنّ مفهوم الدّين في حياة الناس في وادي سوف يدل على جزء كبير من هويتهم وحضارتهم الإنسانية، الإنسانية ويطبع شخصياتهم وطريقة تعاملهم وسلوكاتهم في الحياة، كما تبدّت أهمية الدّين في حياة الإنسان السوفي في تنظيم علاقته بربّه جّل وعلا، سواء أكان في السلوك والأخلاق أو في العبارة وممارسة الشعائر التي تقرّب إلى الله تعالى. لو تأملنا في الأمثال الشعبية السوفية نجد أنّ المجال الديني حاضر فيها، وهذه بعض الأمثال التي تمكنّا من عرضها:

1) القضاء والقدر:

*** إذَا جَتْ تْجِيْبهَا شَعْرَةْ وْإذَا مِشَتْ تْقَطَعْ السِلاَسِلْ***

إذا تساهلت الأمور في إنجاز قضية يأتي ذلك لأتفه الأسباب وإذا صعبت ذلك يكون لتعرضه لصعوبات شاقة، ويضرب هذا المثل لتبرير نجاح بعض الناس في الحياة، أو مجرد نجاح في إنجاز مشروع، ويلعب الحظ دورًا رئيسيا هنا وإخفاق آخرين بعد وقوعها. فهذا المثل يحمل بعدًا دلاليا وهو دور الحظ في أمر من الأمور والصعوبات التي يواجهها الإنسان للوصول إلى النجاح.

*** إذَا عَطَاكْ العَاطِي مَا تَشْقَى مَا تْبَاطِي***

يقصد به إذا أعطاك الله شيئا لا تسقى ولا تتعب من أجل الوصول إليه.ويضرب هذا المثل على النعمة والحظوة السريعة التي يحظى بها بعض الناس بدون ما سبب ظاهر، فهذا المثل يحمل بعدًا دلاليا دينيا فالله سبحانه يرزق من يشاء من عباده وييسر لهم أسباب الرزق في قوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾[1].

[1]- سورة البقرة، الآية 212.

*** الله غَالِبْ يَا الطَالِبْ ***

نقصد به أنّ أمر الله وقضاءه غالب، ويضرب هذا المثل للتأكد على أنّ مشيئة الله لا تخالف، وكذلك لتبرير ضعف الإنسان بالنسبة للخالق، ويستعمل بعد قضاء الأمر. إنّ هذا المثل يحمل بعدًا دلاليا دينيا في قناعة الإنسان السوفي وتسليمه لأمر الله تعالى في أمر من أمور الدنيا والتي لا يمكنه مخالفتها أو تغييرها.

*** اللِي فِي عُمْرَهْ مُدَّةْ مَا تُقْتلَه شِدَّهْ ***

نقد به ما كتب الله له عمرًا طويلا لا يقتله مرض، ويضرب هذا المثل لمن كتب له أنّ يعيش مدّة طويلة لا تقتله نوبة مرض أو أزمة طارئة، هذا المثل يحمل بعدًا دلاليا دينيا عن العمر الذي قدره الله للإنسان في الحياة فمهما كانت المشاكل والصعوبات العارضة التي يواجهها لا توقف الزمن عن الدوران أو استمرار الحياة.

*** المَكْتُوبْ على الجِبِيْن لاَزِمْ تْشُوفَهْ العِيْن***

نقصد به أنّ مصير الإنسان في الحياة سواء أكان مفرحا أو محزنا سوف يراه بعينيه أو يعايشه عاجلا أم آجلا، ويضرب هذا المثل في التأكيد على أنّ مصير الإنسان أمر محتوم ومقدّر من عند الله تعالى، وهذا المثل يحمل بعدًا دينيا في تقدير الله لمصائر الناس في الدنيا.

*** دِيْرهَا في النِّيهْ وُارْقُدْ في الثِّنِيْه***

بمعنى توكل على الله واصدق النية ونم في الطريق، النوم في الطريق يعرض الإنسان لاعتداء الأشرار، فيضرب هذا المثل للإنسان فيقال له: توكل على الله ولا تحبط، فلن يصيبك مكروه ولو تعرضت لخطر. ويضرب أيضًا بسخرية للمغتر بنفسه والأحمق، فهذا المثل ذُو بعد دلالي ديني في التوكل على الله والثقة به والإيمان بقضائه وقدره.

2) **تصاريف الدهر والعناية الإلهية:** وهناك أمثال أخرى ذات أبعاد دينية متعددة المواضيع منها: في العناية الإلهية وتصاريف الدهر. ..وغيرها.

*** أبْوابَ الله وَاسْعَةْ ***

معناه أنّ منافذ الخلاص التي يعطيها الله واسعة وقدراته غير محدودة، يكفي أنّ نبتهل إلى الله بصدق لتشملنا عنايته. ويضرب هذا المثل للتشجيع والمواساة فهذا المثل ذُو بعد ديني في عناية الله بعباده.

*** اخْدِمْ الخِيْر تْنَالْ العَجَايِبْ***

الدعوة إلى فعل الخير، يضرب هذا المثل في الدعوة إلى الخير وفعله فهو يذرّ على صاحبه الخير الكثير أو ينال ما يتوقعه؛ فالله سبحانه وتعالى دعانا إلى فعل الخير فهذا المثل له بعد دلالي ديني في الحث على الخير.

*** اخْدم ياصُّغْري لْكُبْري واخْدَم يَا كُبْرِي لْقَبْرِيْ ***

العمل في الصغر من أجل توفير حياة هانئة في الكبر والعمل في الكبر من أجل حياة هانئة في الآخرة، يضرب هذا المثل في الحث على طاعة الله لمن تقدمت به السن كفيلة لصاحبها بتمكينه من حياة الطيبة في الآخرة، ولكن في هذا المثل مخالفة في أنّ الموت مقدر على الشباب والشيخ وهي ليست مقيدة بالأعمار، ففي هذا المثل بعد دلالي ديني في الحث على طاعة الله في الكبر وتحذير خفي من الميل إلى المجون والعتب.

*** الكَاتْبة تِمْشيْلهَا وَلاَ تْجِيْك ***

قضاء الله وقدره أمر محتوم فالإنسان سواء أكان يسعي وراء هذا القدر حتى ولو لم يبذل جهدًا في السعي وراءه فقضاء الله وقدره مكتوب وأمر حاصل لا محال. ويضرب هذا المثل في الرضوخ لمشيئة

الله ولمواساة شخص حتى يرضى بما قدره الله عليه وهذا المثل يحمل بعدًا دلاليا دينيا يعني أنّ الإنسان لا يتحكم في مصيره ويرضخ بذلك لمشيئة الله.

*** المَكْتُوبْ ومْعَاهْ تِنْقِيْزَه***

الرزق المقدر ويتبعه السعي وراءه للحصول عليه، المكتوب(القضاء والقدر). تنقيزه (القفز) فهذا المثل يحمل بعدًا دلاليا دينيا في القضاء والقدر. ومورده: يحكى أن الذئب أراد أكل فريسته فانقض عليها وأكلها، فقالوا له لو انتظرتها حتى يأتي إليك فقال لهم هذا القول: "حتى المكتوب معاه تنقيزه". فيضرب هذا المثل في الحصول على أمر معين في الدنيا مع السعي في الحصول عليه، هذا المثل يصوّر لنا أنّ الإنسان يجب أن يسعى وراء الرزق وألا يتقاعس عنه ولكنه يخالف في نفس الوقت المثل السابق في أن القدر أمر حتمي في الحياة لا يمكن تغييره.

إِمْشِي مْعَ رَب صِحِيْح مَا تِزَعْزَعْ مَا تْطِيْح

المقصود به طاعة الله بصدق واجتناب نواهيه تثبت صاحبها في الدنيا والآخرة أمام المصائب والشدائد، فجملة(امشي من ربي صحيح) بمعنى الطاعة، وجملة(ما تزعزع ما تطيح) بمعنى الثبات والقوة والصلابة، فلهذا المثل بعد دلالي ديني يدعو إلى طاعة الله سبحانه وتعالى لنيل الفلاح في الدنيا والآخرة.

*** إِذَا تْخَلْطَتْ لَدْيَانْ اِسْتَحْفَظْ على دِيْنَكْ***

بمعنى التشبث بالدّين وحفظه، ويضرب هذا المثل في تلك المنازعات والمخالطات المتعلقة بالدين ووجوب تشبث الإنسان بدينه أمام من يحاول التدخل فيه فهذا المثل له بعد دلالي ديني بضرورة حفظ الدين والتعلق به أمام من يحاول رسخ فكرة مخالفة للفكرة التي ورثناها من قبل والتي رسخها ديننا الإسلامي في ظل دخول الأفكار الغربية المناقضة للإسلام في عصرنا الحالي.

*** إذَا حَبِيْتَ نُدْخُلْ قَبْرِي هاَنِي نِمْسِكْ عِيْنِي وْوذْنِي وْلسَانِي ***

بمعنى أنّ الراحة في القبر، في حفظ اللسان والأذن والعيون في الوقوع في المنكرات والحرام فهذا المثل يضربه الشخص من أجل النجاة من عذاب القبر والفلاح في الآخرة. فهذا المثل يصوّر لنا بعدًا دينيا في وجوب طاعة الله تعالى والخوف من عذابه.

ونستخلص مما سبق أنّ الأمثال الدينية تمتلك قدرًا من السلطة الإقناعية فمضمونها الفكري ينسجم مع المضامين الإسلامية الأصيلة وتساهم في تنمية الفكر والروح، وتحفز الإنسان وتدفعه نحو عمل الخير والتعاون وتشجعه على سلوكات إيجابية، وهذا يدلّ على تعلّق الإنسان السوفي بالدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء خاصة في الإيمان بقضاء الله وقدره واحترام مشيئة الله تعالى.

ثالثا: البعد الأخلاقي

اللغة وسيلة إفصاح وتواصل داخل الوسط الاجتماعي، كما أنّها تحمل مظاهر الاستعمال الفردي، المطبوع بطابع الجماعة اللغّوية التي تقوم بدور المحضن اللغوي، بما تقدمه للناشئ من ذخيرة لفظية، وقواعد تضبط عملية الكلام، لا في صورة مجردة بل من خلال الاستعمال، في المقامات المختلفة، بل إنّ المجتمع هو الذي يساهم بشكل فعال في بلورة المفاهيم، أو تصورات الكلمات بشكل تواطؤ عرفيّ، كما أنّ الفرد، وهو يتلقى اللغة لا يتلقاها قوالب جافّة، أو تصورات منّطقية جامدة، وإنّما يتلقى معها ثقافة المجتمع وحضارته، ودينه، وعاداته وتقاليده.

وممّا قد لا نختلف فيه جميعا أنّ إرادة المعنى وتحصيل الدلالة هو منتهى الكلام؛ إذّ لا يُعقل أن يتكلم متكلم، وهو لا يهدف إلى معنى، أو يربط حبل التواصل بغيره وهو لا يريد أنّ يدل على شيء، فلا ريب أنّه يحمل أوجه النشاط النفسي الأخلاقي: القناعة والطمع، الصبر، الخيانة والوفاء، الحياء والكذب، الكرم والبخل، الحبّ والكره، التعاون.

والأمثال السوفية تحمل الكثير من الدلالات الأخلاقية التي تصدر من الإنسان السوفي ومنها نذكر:

1) القناعة والطمع:

القناعة هي الرضا بماقسم اللهتعالى ولو كان قليلا، وهي عدم النظر إلى ما يملكه الآخرون، وهي علامة على صدق الإيمان، ولقد دعا الله تعالى غلى التقنع، فالقناعة كنز لا يفنى لذلك ضرب لها هذا المثل السوفي:

*** القَناعَهْ شَبْعَهْ***

يشبه هذا المثل القناعة بالمعدة الممتلئة وهو يضرب في الشخص القنوع الذي يتصف بهذا الخُلق الحميد.

*** الكَرَشْ ما تْقِرِشْ ***

بمعنى أنّ البطن لا تشبع فمهما ملأتها يبقى الفرد جائعا ويضرب هذا المثل في عدم القناعة.

*** الجاياتْ أَكْثر مِنْ الرايْحاتْ ***

بمعنى أنّ الخير القادم أكثر من الذي لم نظفر به، ويضرب هذا المثل في القناعة والرضا و التفاؤل بالمستقبل.

*** البَرَكَه في القَليلْ ***

بمعنى أنّه يجب على الإنسان الرضا والقناعة حتى بالقليل، ويضرب هذا المثل في من يرضى بالقليل، لحثه على القناعة به لأنّه ربما نمى وكثر بخلاف ما كان يظنه. أمّا الطمع فهو من الصفات السيئة، وهو يجعل الإنسان يتطلع إلى ما عند الآخرين ويريده بأيّ وسيلة كانت ومن هذه الأمثال نذكر:

*** الطِمَعْ يْوَرَثْ الفَقَرْ ***

بمعنى أنّ الطمع لا يعود على صاحبه بالنّفع، فالانشغال بحاجات الناس يجعل الإنسان يترك أمره كلّه ولا يلتفت إلى حياته فيفقر هو ويغنى الآخرون، لذلك يضرب هذا المثل في الحث على ترك الطّمع ونبذه والالتفات إلى النفس فقط.

*** الطَماعْ يْباتْ سارِي وْيَحْلَمْ بالتُفاحْ وِالتُفاحْ سومَهْ غالي وِماليهْ شْحاحْ ***

بمعنى أنّ الطمّاع حتى في منامه يطمع في حاجات الآخرين ولكن للطّمع طريقا مسدودا أمام البخلاء، هذا المثل يضرب في الأشخاص الطمّاعين في حاجات البخلاء فلا يغلب الطّمع إلاّ البخل.

*** الطّماعْ يُقُتْلَه الكَذابْ ***

بمعنى أنّ الطمع يغلبه الكذاب، ويضرب في السخرية والتهكم من صفة الطمع والدعوة إلى نبذها.

*** العينْ ما يَمْلاها كان الدودْ وِالتْرابْ ***

بمعنى أنّ الطمع ليس له حدّ سوى القبر، ويضرب هذا المثل في الشخص الذي ليس لطمعه حدّ، ولا يقنع بأيّ شيء، فموت الطماع هو النهاية لطمعه لذا شُبّهَ الطمع بالعين، والقبر بالدود والتراب وهنا يتضح لنا إبداع الإنسان السوفي في تصوير الطمع ونبذه لهذه الصفة السيئة.

*** مَتّنْ ساسِكْ وْعَلِيْ بَنْيَهْ أَخْطاكْ الطِمَعْ يَخْطاكْ فَقْرِ الدِنْيا ***

بمعنى كَوِنْ نفسك واعمل تحقق النجاح في حياتك واترك صفة الطمع تغنى وتزدهر، ويضرب هذا المثل في نبذ الطمع والحثّ على تركه فهو أساس الفقر في الدنيا.

وممّا سبق نستنتج أنّ الطمع صفة مذمومة في نظر المجتمع السوفي لذلك نجد أنّ الأمثال تحارب هذه الصفة وتبغضها، أمّا القناعة فقد دعت إلى التحلي بها، فهي صفة محبوبة وتدل على نفس طيبة زكية، إذا يحمل كلّ مثل بعدا دلاليا نفسيًّا أخلاقيا تراوح بين القناعة والطّمع فالإنسان خلق على حبّ الخير ونبذّ الشرّ.

2) الصبر:

الصبر هو القدرة على التحمّل ومواجهة الصّعاب والاستمرار بكلّ ثقة وعدم اليأس والاستسلام، فأحيانا يصيبنا الكسل واليأس بسبب ظروف مرّت بنا ولكن عند سماع كلمات تحث على الصبر ومدى أهميته من جميع النواحي فإننا نحاول قدر المستطاع التحلّي به، وأجمل ما ورد في موضوع الصّبر ما يلي:

صَبْرِي عَلى روحِي وْلا صَبْرِ الناسْ عَلَيَّ

ومعناه أنّ يصبر على نفسه في تحمل الصعاب والظروف ولا صبر الناس عليه. إذا يضرب هذا المثل في الصبر والتحمل على ما يحيط بالإنسان من ظروف ومآسٍ في عيشه، وهذا يعكس بعدا دلاليا أخلاقيا عن الصبر.

*** الصابِرْ مْعاهْ رَبِي***

بمعنى حفظ الله تعالى للصابرين وإعانتهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾[1]، فالصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر على ما تحب. فما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله عند الإله و أنجاه من الجزع، فإذا كان الصبر مرًا فعاقبته حلوة.

*** هَنيتِكْ يا العاقِرْ وْما هَنيتِي روحُكْ***

بمعنى أرحتك من الإنجاب ولكنّك لم تصبري على ذلك حتّى جاءتك الذرية وعانيتِ منها، فهذا المثل يضرب في عدم الصبر واستعجال الأمر، فهناك حكمة حقيقية بالنظر إلى العنكبوت التي تنسج بيتها في استعجال لكن نسيجه ليس له قيمة، لكن دودة القزّ تنسج بيتها ببطء شديد لكن نسيجه له قيمة كبيرة.فهذا المثل يحث على الصبر والتحمل وعدم العجلة.

*** يا صَاحْبِي كُونْ صَبارْ وُ اصْبُرْ عَلى ما جَرالِكْ، وُارْقُدْ على الشوكْ عِرْيان حتى يِطْلَعْ نَهارَكْ***

فمعنى هذا المثل التصبر والتحمل أمام صدمات الحياة فالصبر يمنحك الإصرار والمثابرة رغم العقبات التي تواجهك، ويضرب هذا المثل في مواساة الأشخاص الآخرين أمام المصائب التي يواجهونها.

[1]- سورة البقرة، الآية 153.

*** مَكانِشْ اللِيْ بِنَا قَصَرْ في عامْ ***

بمعنى أنّ القصور لا يمكن أنّ تبنى في عام واحد بل بالتدرج والتأنّي، و يضرب هذا المثل بعدم الاستعجال في أمور الحياة بل بالصبر والتأنّي.

*** قلبه جمل***

بمعنى قلبه كبير وصدره رحب، ويضرب في الشخص الصبور الذي يتحمل مشاكل الحياة.

*** صامْ صامْ وْفِطَرْ عَنْ جَرادَهْ***

بمعنى صبر ولم يجد مبتغاه، ويضرب هذا المثل في قمة الصبر لكن عدم الوصول إلى النجاح والهدف المنشود منه.

*** ما يْحِسْ بالجَمْرَه كانْ اللِي عافِسْها ***

بمعنى الصبر على المصيبة التي تحل بالشخص دون إحساس الآخرين بآلامه، ويضرب هذا المثل في معاناة الإنسان وصبره على مصيبته.

*** اللي شاهي الزينْ يُصْبُرْ على عْذابُو***

بمعنى الذي يريد شيئا جميلا يتحمّل عواقبه ويصبر حتى يناله، ويضرب هذا المثل في الشخص الذي يريد شيئا مميّزا وهو يصبر من أجل الحصول عليه.

*** الصَبَرْ مِفْتاحْ الجَنَّه***

بمعنى من صبر عن محارم الله تعالى أدخله الجنة فشبه الصبر بالمفتاح الذي يفتح باب الجنة أمام الصابرين، ويضرب هذا المثل على التحلّي بالصّبر فهو من الإيمان بالله عزّ وجلّ.

ومن خلال ما سبق نجد أنّ الصبر يحمل قيمة كبيرة لدى المجتمع السوفي ولذلك نجد في الأمثال حث على الصبر وتحمل صعاب المشكلات الموجودة في الحياة من محن وابتلاءات كثيرة، فالصبر طعمه مُرّ، وعاقبته وثمرته حلوة في الدنيا والآخرة، فمن صبر غَنِمَ وسعِد في دنياه وأخراه، ومن اعترض على قضاء الله خسر خسرانا مبينا، ولنا أسوة حسنة في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقد أعطى دروسا في الصبر لشدة ما تعرّض له من كروب وابتلاءات ومحن، وقد حضّ أمّته على الصبر وبين ما وعد الله تعالى لعباده الصابرين وأجره العظيم.

3) الخيانة والوفاء:

الخيانة والغدر من الصفات السيئة التي تعطي الإنسان شعورا بالخيبة وهي أمر مذموم في شريعة الله تنكرها الفطرة وترفضها الطبيعة السّوية، وكلّ إنسان لا يؤدّي ما يجب عليه من أمانة فهو خائن، الله سبحانه وتعالى لا يحب الخائنين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[1] وقد أشار المثل الشعبي إلى ظاهرة الخيانة وبيان خطورتها وعواقبها الوخيمة.

*** عَنْ بَطْنَهْ باعْ وَطْنَه ***

بمعنى من أجل مصلحته وشغفه للعيش الرغيد خان وطنه وفشا بأسراره للعدوّ؛ويضرب هذا المثل على كلّ من يتصرف بجشع في الأمور الحياتية جملة فيخون من أجل تحقيق أهدافه.

*** يْقُوْلْ لِلْخايِنْ خُشْ وِيْقُوْلْ لِلْكَلبْ أُش***

بمعنى مساعدة الخائن على الأعمال الإجرامية كالسرقة فيسهل له الطريق ويدخله كما يحافظ عليه لإبعاد الأذى عنه المتمثل في كلب الحراسة، وهذا المثل يضرب لكلّ واحد يقوم بالتحريض على الخيانة و الغدر وإشعال نار الفتنة مهما صارت.

[1] – سورة النساء، الآية 107.

***سِنْ تَضْحَكْ لِلْسِنْ وِالقَلْبْ مَلْيانْ خَديعَهْ ***

بمعنى أنّ المظهر الخارجي جميلٌ وسَمْحٌ أما المظهر الداخلي فقبيح بشع مليء بالخديعة والنفاق فالفرق شاسع بينهما، فيضرب هذا المثل بالعلاقات القائمة على الخداع والنفاق فقط.

***كِيْ العَقْرَبْ يَلْدَغْ مِنْ التِحِتْ ***

بمعنى أنّ الخائن كالعقرب يخون صاحبه في الخفاء أي أنّه لا يجهر بفعلته، ويضرب هذا المثل في تصوير الخيانة التي تحاكى في الخفاء دون علم بها.

كِيْ الذِيبْ الذِلَهْ وِالفَدْعَهْ

بمعنى أنّ الخائن كالذئب له صفة الذّل والغدر، فيضرب هذا المثل في الشخص الخائن الذي يتصف بالغدر والخيانة.

مادِّيرْ مِنَهْ إيْدْ مَلْيانَهْ

بمعنى أنْ لا تأتمنه حتى تحفظ السلامة منه فهو يصور الخيانة أو الخائن باليد، فيضرب هذا المثل لعدم الوفاء ويحثّ على الحذر منه.

الوفاء من أروع الصفات التي يتحلّى بها المرء فهو الإخلاص والعطاء والعهد، بعيدا عن الخيانة والغدر، وهو يقرب الناس إليك ويقدرونك وهو أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود و وعود و واجبات، وقد أمرنا الله تعالى الوفاء بالعهد، فقال جلّ شأنه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1]،

والمثل يقول:

[1]- سورة الإسراء، الآية 34.

حَرِيقْ أَبْدانِيْ وْلا فْراقْ أوطاني

لكلّ إنسان أحاسيس ومشاعر اتجاه أيّ شيء يحبّه... وفي المثل تعبير عن حب الوطن والاعتزاز به، فهو يفديه بالغالي والنفيس ولا يوجد أغلى من النفيس فحرق بدنه هو أشد أنواع العذاب في الحياة أحسن وأهون عليه من فراق وطنه ويبين لنا أنّ ألم الفراق وغربة الأوطان أعظم على النفس من حرّق الأبدان، لأن الأول يتمثل في الحرق الجسدي المادي، والثاني هو حرق القلب، فهذا المثل يضرب في قوة الوفاء والإخلاص للوطن وحبه.

*** الطِيرْ قالْ وَكْرِي وَكْرِيْ وْلا رْقادِيْ في القُطْنِيْ***

بمعنى أنّ الطير حنَّ واشتاق إلى وكره مع أنّه في راحة وخير المتمثل في القطن لكنه لم يفرح به ولا يحن قلبه إليه فحنينه ووفاؤه لوطنه ومكانه الأصلي جعله يكره الأشياء الجميلة من حوله وهو في بلاد الغربة، ويضرب هذا المثل في شدة الشوق والحنين للوطن والوفاء له.

ومما سبق نجد أنّ المثل الشعبي قد تعرض لموضوع الغدر والخيانة، واستنكر هذا الفعل الشنيع بينما حثّ على التزام الوفاء وركز خاصة على حب الوطن والوفاء له.

4) الحياء والكذب:

الحياء هو أن تخجل النفس من العيب والخطأ، هو جزء من الإيمان، بل إنّ الحياء والإيمان مقترنان لا يفترقان، فمن لا حياء له لا دين له وخُلُق الحياء لا يمنع المسلم من أن يقول الحق. أو يطلب العلم، أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فهذه المواضيع لا يكون فيها حياء، وقد دعا المثل إلى الحياء والحث على الاتّصاف به حيث يقول:

*** اللِيْ ما اسْتَحاشِي مِنْ رُكوبِيْ ما نِسْتِحِيْ مِنْ طْياحَه ***

هذا المثل يدعو إلى المعاملة بالمثل مع هؤلاء من بني البشر الذين يتصرفون مع الناس على أنهم وسائل للركوب كالدواب فإنّ الثاني لا يستحي منه بدفعه وإسقاطه من الأعلى فيكون وقع التأثير أشدّ ألما من الركوب، ويضرب هذا المثل في الحثّ على خُلُق الحياء من خلال تحسين الإنسان لتصرفاته مع غيره حتى لا يجرح المشاعر، ويسبب الإحراج لنفسه.

*** وَجْهَه كِالنْحاسَه ***

بمعنى أنّ وجهه بارد مثلها، ويضرب هذا المثل في قليل الحياء والحشمة.

*** مَا خْشَنْ قِشْرَةْ وَجْهَه ***

بمعنى أنّ خشونة الوجه تجعله لا يحسّ بالآخرين من حوله فيسيء التصرف مع غيره فيجرح مشاعرهم ويسيء الأدب ويستخف بهم، فيضرب هذا المثل في شأن قليل الحياء.

أمّا الكذب فهو صفة مذمومة ومكروهة تعود على صاحبها بالشرّ. وهي آفة خطيرة على المجتمع لذا وجب الابتعاد عنها، والأمثال الشعبية تناولت موضوع الكذب وحذّرت منه، ومنها:

*** كَانَّ الكِذِبْ يْنَجِيْ الصدِقْ أنْجَى وْأَنْجَى ***

بمعنى أنّ الكذب طريقه يؤدّي إلى الهلاك، وأمّا الصدق هو طريق الفلاح والنجاة في الحياة، فهذا المثل يضرب في الحثّ على الصدق ونبذ الكذب فهو يدعو إلى خُلقٍ راقٍ وسامٍ وترك الخلق الدنيء وغير السويّ الذي نهانا الله عزّ وجلّ عن إتباعه.

*** الكَذَابْ زِيْدْ شْوَيّ وِانْشدَه ***

بمعنى أنْ تسأل الكاذب لتبين كذبه من صدقه، إذا فالكاذب يستمر في كذبه فهي صفة لصيقة به وهو ينسى ما قاله لذلك يقال هذا المثل في الشخص المتصف بالكذب حتى تظهر الحقيقة للآخرين.

*** الكِذِبْ اللِيْ يْفَلَقْ يْكَسرْالدَبُوزَهْ وِيْخَلِيْ الزيتْ مْعَلَقْ ***

بمعنى قوة الكذب التي تصل إلى حدّ الكسر. وهذا المثل يضرب في شدة الكذب وفيه حثّ للابتعاد عمن يتّصف بهذه الصفة، وفيه خطورة على المجتمع.

*** الكِذِبْ ما نِكْذِبْشِيْ وْفي الحَدِيثْ نْزِيدْ وِالسَرْقَه مانَسْرَقْشِي وْفِيَّ خُفَّةْ لِيْدْ ***

بمعنى أنّ الكذب هو نفسه زيادة في الحديث عن أصله والسرقة هي نفسها خفة اليد فلا فرق بينهما، وهذا المثل يضرب في من يتّصف بهذه الصفات الذميمة والسلوكات المشينة ويبرر فعلته بغير ذلك، فهما سيّان لا فرق بينهما.

نستنتج ممّا سبق أنّ الحياء من الصفات المحمودة التي دعت إليها الأمثال السوفية فهي تحمل في طياتها نصحا وإرشادا إلى التحلّي بهذا الخُلق الطيب. أمّا الكذب فقد نال السخط و الكره من قبل الأمثال فقد دعت إلى الابتعاد عن هذا الخُلق الذميم الذي ينافي الدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء.

5) الكرم والبخل:

الكرم هو صفة أصيلة في النفس الإنسانية ومعناها الإعطاء والإنفاق وطيب النفس وهو ضد اللّؤم والنذالة ومن الأمثال المعبِّرة عنه:

*** الجُودْ مِنْ المِيْجُودْ ***

بمعنى أنّ الكرم والجود حتى بالقليل، ويضرب هذا المثل للحثّ على الإكرام حتى بأقل ما يكون وليس فقط بالأشياء الثمينة والغالية.

*** اللِيْ دارْ الخِيْر ما يَنْدَمْشِي ***

الخير لا ندامة فيه، ويضرب هذا المثل في الحثّ على عمل الخير والكرم فصاحبه لا يندم عليه أبدا.

*** اللِيْ دَارْ شَيْء لِلَّهْ***

ويضرب هذا المثل للتحفيز على عمل الخير وتبيين أنّ أجر الخير من عنده سبحانه وتعالى.

*** اللِيْ يدِيرْ الخِيْر ما يْشَاوِرْشِيْ ***

بمعنى لا استشارة في فعل الخير (الكرم) وهو يضرب في التعجيل لفعل الخير دون مشاورة أيّ أحد آخر فيه.

*** الخِيْرْ بِالخِيْرْ وِالبَادِيْ أَكْرَم***

ويضرب في الحثّ على إكرام الكريم ومبادلته بالمثل، لذا فالمثل يصور البادئ بالأكرم وهو يدعو إلى وجوب التّحلّي بصفة الكرم.

*** الشَمْعَه تِحْرِقْ في رُوحُها وْتُضْوِيْ عَلاأُخْرِين***

بمعنى أنّ الشخص الكريم يشقه وغيره يستغل عمله وهو يأتي في سياق الحمد إذا كان المنتفع من أهله وأولاده، وهو يضرب في الكرم والجود.

*** اللِيْ بَاشْ يُطْلُقْ ايْدِيْه يَبْدَا بْوَالْدِيْهْ***

ويقصد(يطلق ايديه) يتكرم، بمعنى أنّ الكرم والجود الأول به هم الأقارب، وهو يضرب في إكرام الوالدين ثم التدرج إلى الأشخاص الآخرين ولذلك قيل: "الأقرباء أولى بالمعروف".

*** اللِيْ جَا بْلَا عَرْضَهْ يُقْعُدْ بْلَا فْرَاشْ***

من عادة الناس إكرام الضيف لكن في الولائم لا يحتف بمن لم يدعا إليها، كما لا يطرد أيضًا، ويضرب هذا المثل للطفيلي المحتج على عدم إكرامه.

*** الضْيافْ إذا حَبِيتْ تْهَرْبَهْ غَرْبَهْ وْتَرْبَهْ وإذا تْحَدّثْ كَذْبَه ***

ويضرب هذا المثل في طريقة التعامل مع الضيف غير المرغوب فيه الذي تطول إقامته، ومعناه أنّ الضيف الثقيل الذي لا تحبه أجلسه على الأرض دون فراش، و(غربه) أي لا تجالس، وإذا تكلم كذّبه، وتلك قمّة في سوء الضيافة لكي يفهم نفسه، ويرحل.

أمّا البخل من العادات السيئة التي تصاحب الإنسان ويجب عليه التخلّص منها والتحلّي بالكرم والجود والمثل الشعبي تعرض لهذه الصفات بالذكر ومنها:

*** فِسَادْ كَرْشِيْ وْلا فِسَادْ رُزْقِيْ ***

الإنسان البخيل معروف بشحه الكبير، واو كام ذلك على حساب نفسه، وهذا المثل يضرب في البخيل الذي يفضل ضياع روحه على ضياع ماله.

*** الرِطابَهْ وْقِلِةْ لِيْدامْ ***

في تعاملنا مع الناس الآخرين يبدون في ظاهرهم طيبين كرما لكنهم في الحقيقة بخلاء، ويضرب هذا المثل في الشخص الذي يخدعك بطيبته ولكنه في الحقيقة ماكر وبخيل أثناء طلبك له بشيء فتظهر حقيقته.

*** كُوْلْ وْوَكِّل ***

بمعنى أكرم، تكرم، فالمثل يدعو إلى ترك البخل فهو صفة ذميمة وجب على المسلم الحقيقي الحذر منها، وقد ذمَّ الله البخل وحذرنا منه في قوله:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾.[1]

6) الحب والكره:

عندما نقول الحب نقصد به تلك الكلمات الرائعة المنبعثة من القلب بكل صدق ومودة وعطف وحنان، هو ذلك الشعور النبيل الصادق، عن مشاعر تحقّق التقارب والتجاذب والارتياح الداخلي بين البشر، أو الاستمتاع بالتواجد مع الطرف الآخر والحب أيضا يصف مشاعر من العاطفة وهو الفعل الذي لا يتصرف فيه إنسان عن عمد، ولكن باستجابة رقيقة فيها تعاطف اتجاه الآخرين، والأمثال السوفية غنية بعاطفة الحب التي تعبر عن ما يجيش في صدورهم تعبيرا صادقا ومن هذه الأمثال ما يلي:

حَبيبِكْ وَقْتِ الشِدَّه

بمعنى أنّ الحبيب الحقيقي يكون في أوقات الشدة والأزمة، فالحبّ ليس كلمات تقال فقط بل هي أفعال والحبيب ليس في الرخاء بل في الشدة، فهذا المثل يضرب في الحبيب الذي تلقاه وقت الشدة.

*** حَبيبْ الرِفْقَهْ حَبيبْ اللِيْ يِتْفَكْرَكْ نَهارْ النِفْقَهْ ***

بمعنى الصاحب وهو رفيق الدرب الذي يتذكرك ويعطيك الأولوية في قيامه بأعمال الخير، إذًا فالحب هنا يبين صديقين محبين يتبادلان فعل الخير فيما بينهما، ويضرب هذا المثل في الصداقة المبنية في المحبة والمودة.

[1]- سورة آل عمران، الآية 180.

*** حِبْنِيْ مَحَبَةْ خوكْ وْحاسِبْنِيْ حْسابْ عَدُوكْ ***

بمعنى أنّ تعاملني معاملة أخيك أي أن تعامل الشريك بالحسن والأخوة وإذا حدث أمر أن يعامل الشريك كأنه عدو له ولا يرحمه، لأنّ طبيعة النفس البشرية والرغبة الآنية فيه تجعله عدواني في تعامله، فعليه تصرفاته مع من كانوا أحبته، ويضرب هذا المثل في معاملة الشريك بالمحبة وأثناء الحساب يعامل كأنّه عدوّ.

*** الحِجْرَهْ مِنْ عِنْد الحَبيبْ تُفاحَهْ ***

بمعنى أيَّ أذى من عند الحبيب فهو عنده شيء جميل، ويضرب هذا المثل في الشخص الذي يلاقي عناءً من حبيبه وهذا تعبير عن حبه الشديد لمحبوبه، فهذا المثل يحثّ على الصبر عن الأذى من أجل الفوز بقلب الحبيب.

*** نْحِبَّهْ لِلْعَظَم***

بمعنى الحب الشديد، وهذا المثل يضرب في قوة الحب الذي وصل إلى حد العظم وهو تعبير على أنّ الحب قد وصل إلى أقصى حد.

*** كُلّْ شِيْء بالسيفْ كانْ كَلْمَةْ حِبْنِيْ ما هِيْ بالسِيفْ***

بمعنى أنّ الحب شعور لا يستطيع الإنسان التّحكّم فيه أو تحويله إلى شخص آخر فمقره القلب، ويضرب هذا المثل في استقلالية الحب عن التحكّم فيه أو السيطرة عليه.

*** الحُبْ يْطِيحْ على عُودْ يابِسْ***

ويقال في الرجل الذي يقع في غرام امرأة ذميمة كمن سقط على عود يابس، فإذا حدث وأحب الرجل امرأة ما فهو لن يتخلّى عنها مهما حاول معه الأهل أو الأصدقاء، لأنه أحبّها حبا صادقا حقيقيا لا يتغير، ويضرب هذا المثل في من أحب امرأة ذميمة.

أمّا الكره فهو صفة منبوذة يمتلكها الشخص وتتجلّى في كلّ أنواع النفاق والحقد والحسد والكبرياء والكسل التي يشعر بها الإنسان نحو أخيه الإنسان وهو حالة نفسية تطبع قلوب بعض الأشخاص، والأمثال سلطت الضوء على هذه الصفة ومنها نذكر:

حَبيبْ حابِكْ يِغْفِرْ مْعاكْ السَّيَهْ وْعَدُوْ كارْهِكْ سِقْمِكْ يْديرَهْ لَيَّه

بمعنى أنّ من يحبك يغفر لك أخطائك أمّا عدوك حتّى وإنْ لمْ تخطئ معه لا يغفر لك، ويضرب هذا المثل في الحبيب الحقيقي وكذلك العدو الذي وجب الحذر منه وعدم مصادقته.

امْشِيْ على عَدُوِكْ جَعانْ وْما تِمْشيشْ عَنَهْ عِرْيانْ

المثل الذي بين أيدينا يدعو الإنسان إلى إخفاء فقره وحاجته على من يحقد عليه وأنْ لا يعلم ذلك من شكله الخارجي حتى لا يشمّت فيه الأعداء فالبطن لا تعيِّره بأي شيء يسد رمقه ولكن النصيحة بأن لا تمشي على عدوك عريان أي بالي الثوب حزين المنظر بل يجب أن يكون في أحسن حال حتى لا يُشعِر أحد بذلك.

*** اللِيْ عازِّكْ يْسَقَطْلَكْ وِاللِيْ كارْهِكْ يْلَقَطْلَكْ***

بمعنى أنّ الحبيب لا يتذكر أخطاءك، أمّا الذي يكرهك يذكر غلطاتك نحوه ولا يتناساها فالحبيب يسامحك أمّا العدو فلا، لذا هذا المثل يضرب في الحب والكراهية معا.

وممّا سبق نستنتج أنّ الحب عاطفة وشعور سامٍ، والحبّ هنا لا نقصد به الحب الذي ينشأ بين الرجل والمرأة فقط بل حتّى ذلك الذي ينشأ بين الأصدقاء، وقد عبرت الأمثال الشعبية عن هذه العلاقات. أمّا الكره فقد جاء مقابلا لصفة الحبّ، فالكره صفة حذّرت منه الأمثال ودعت إلى الابتعاد عنها وعمن يتّصف بها وهي صفة لاصقة بالأعداء كما صورتها الأمثال الشعبية.

7) التعاون:

لم يخلق الله تعالى البشر أفرادا يعيشون بشكل منفرد، بل خلقهم ليكونوا ويعيشوا على شكل جماعات فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده مهما حاول فعل ذلك، فهو دائمًا يكون بحاجة إلى غيره وإلى إخوانه من البشر، لأنّه غير قادر على أنّ يقوم بكافة المهام كلّها وحده، فعلى سبيل المثل لا يستطيع الإنسان أنْ يكون طبيبا ومهندسا وعالما في الأرصاد الجوية، مع إمكانيته أن يكون عالما بها جميعا وملمًا بكافة تفاصيلها، فهذا ليس بعجيب أو غريب على العقل البشري إلا أنّه لا يستطيع أن يمتهن هذه المهن جميعها، ومن هنا كان لزامًا على الإنسان أن يكون قابلاً وقادرًا على التفاعل والتعاطي مع الآخرين أيّا كانت معتقداته أو أفكاره أو عرقه وما إلى ذلك من أمور مختلفة ومتنوعة، من هنا نرى أهمية التعاون فعبر المبدع السوفي عنه من خلال الأمثال الآتية:

*** النَاسْ لْبَعْضَاهَا ***

بمعنى أنّ الناس خُلِقت لبعضها البعض، يلتحمون وقت الشدة ويتعاونون مع بعضهم البعض، فيضرب هذا المثل في الحثّ على التعاون ونبذ الفرقة والدّعوة إلى الوحدة لما فيه مصلحتهم.

*** إيْدْ وَحْدَهْ مَا تْصَفَقَشِ***

بمعنى أنّ اليد الواحدة لا يمكنها التصفيق لوحدها بل تحتاج إلى اليد الأخرى حتى تصفق، فيضرب هذا المثل في احتياج التعاون في أمور الحياة فلا يمكن للإنسان وحده إنجاز بعض الأعمال التي تحتاج مشاركة الأشخاص الآخرين فيها.

*** عَاوِنْ حتَّى بْكَتَّه ***

بمعنى عاون بكلمة أو حتى بإحداث صوت، ويضرب هذا المثل للحثّ على التعاون حتى بالقليل أي بإثبات مشاركتك للآخرين.

*** العُودْ يِتْكَسَرْوِالحِزْمَه ما تِتْكَسَرْ ***

بمعنى أنّ التفرقة خسارة وهزيمة وأمّا التلاحم والتعاون فوز ونصر، فعندما يحيق خطر جسيم بهم فإذا تفرقوا خسروا وانهزموا أمّا إذا توّحدوا في صده ونجحوا في القضاء عليه فازوا، فكلّما كان التعاون بين البشر أفضل فإنّه يؤدي حتما إلى حصاد نتيجة هذا التعاون عن طريق تقاسمهم للحياة الهنيئة.

*** مِنْ عاوْنِكْ على الشَرْ ظُلمُكْ ***

بمعنى من أعانك على فعل الشر فقد أظلك وظلمك، وهذا المثل يضرب في نبذ الإعانة على الشر وفاعله، مصداقا لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾[1]،إذا فهذا المثل يشبه التعاون هنا بالظلم ويحثّ على تركه فهو يعود على المجتمع كلّه بالمضرّة.

وفي الأخير نستنتج أنّ الأمثال الشعبية على الرّغم من أنّها تختلف في ألفاظها إلّا أنّها تلتقي في مضمونها مع اختلاف مصادرها، وبكلّ بساطة فهي تعلّمنا العديد من الفضائل والخصال الحميدة، فأجدادنا لم يتركوا مثلا إلّا وتضمن موعظة تحض على الترابط ونبذ الخصال السيئة والابتعاد عنها، فهي تحمل في طياتها بعدا دلاليا أخلاقيًا يعتمد عليها الإنسان السوفي في غرس القيم والأخلاق الحميدة والصفات النبيلة والطيبة والتحذير من الصفات والأخلاق المنبوذة.

[1]- سورة المائدة، الآية 2.

رابعا: البعد الاقتصادي

يشمل هذا البعد موضوع المال والعمل فالإنسان عليه أن يعمل عملا يحصد منه ثمرة صالحة سواء كان هذا العمل تجارة في السوق من بيع وشراء وغيرها، أو في زراعة الأراضي للاستفادة منها في بيع الحصاد الذي يتحصل عليه؛ فكل من التجارة والزراعة عاملان أساسيان في حياة الفرد والمجتمع، لذا حثّ الله سبحانه وتعالى الإنسان على العمل في قوله:﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾[1]. ومن الأمثال الشعبية التي قيلت في العمل نجد:

1) العمل:

كُلْ قَمْحَهْ مْسَوْسَهْ يْجِيبْ لِيْها رَبِيْ كَيَّالْ أَعْوَرْ

يقصد: "الكيال" المشتري، هذا المثل يستعمل كثيرا من قبل التجار وهو يعني أنّه مهما كانت السلعة رديئة فلا بد لها من زبون يشتريها.

اخْدِمْ يا صُغْرِيْ لْكُبْرِيْ وِاخْدِمْ يا كُبْرِيْ لْقَبْرِيْ

يضرب هذا المثل في الحثّ على العمل بأن يستغل صغره فهو في قمة الطاقة والحيوية وكما يهتم بتوفير الضروريات والمال لتأمين حياته لأنه عندما يكبر تخور قواه، فالإنسان يتعب في الصغر ليرتاح في الكبر.

[1]- سورة آل عمران، الآية 195.

*** اخْدِمْ يا الشاقِيْ لِلْبَاقِيْ ***

يضرب هذا المثل في الشخص الذي يكدّ ويجدّ لخدمة الآخرين، مثل ربّ الأسرة فهو يعمل من أجلهم ليوفر لهم الحياة الهنيئة.

*** اخْدِمْ باطِلْ وْلا تُقْعُدْ عاطِلْ ***

يضرب هذا المثل في الحث على العمل حتى ولو بدون أجر فهو خير من البطالة، وقد دعانا الله في كتابه العزيز على العمل وعدم احتقاره حتى ولو كان بسيطا طالما أنّه شريف.

*** يَفْنَى مالِ الجَدِيْنْ وْتَبْقَى حِرْفِةْ لِيْدِيْنْ ***

يضرب هذا المثل في الحث على العمل حتى في حالة الغنى، ولهذا المثل مورد: فيحكى أنّ هناك امرأة عازبة تتعلم غزل الصوف لدى جيرانها، فحاول أجدادها أن يمنعوها عن العمل لتوفّرهم على المال ورغبتهم في إعالتها؛ ولكنها رفضت، ولما دار الزمان، أصبح أجدادها فقراء، فقالت فيهم هذا القول. ويضرب كذلك في أهمية تعلم في أيّ مجال كان، فالحرفة أهم مال يرثه المرء.

وفي الأخير نستنتج أنّ المثل الشعبي قد أشار إلى أهمية العمل، فهو عبادة وسعادة في آن واحد، ويكسب المرء احترام الناس له.

- **التجارة:**

تعدّ التجارة من أهمّ الأعمال التي تقوم بها البشرية، لذا تعرضت الأمثال السوفية لها:

*** عِيْنِكْ هِيَّ مِيْزانِكْ ***

يضرب هذا المثل في من أراد شراء البضائع، حتى يتبرّأ البائع من مسؤولية ما قد يترتّب على شرائها من ردّ أو لوم، فإنّه من الأفضل وجود البضاعة أمام المشتري. كما يندرج هذا المثل أيضا في موضوع الزواج خاصة أثناء اختيار الشريك.

*** الشِرْكَهْ هِلْكَهْ وِالجَرَبْ يِعْدِيْ ***

يضرب هذا المثل في التحذير من الشراكة فهي حتما تؤدّي إلى المشاكل سواء كانت في التجارة أو الفلاحة أو غيرهما، لذا يضرب هذا المثل في تجنب الشراكة، خاصّة في المال طبعا.

*** التِجارَهْ تْقَطَعْ سِلاسِلْ الفَقَرْ ***

يضرب هذا المثل ويؤكّد بأنّ التجارة عمل يبعد الإنسان عن الفقر والاحتياج، فكلّما كان الإنسان مجتهدا في عمله كان أكثر غنى، لذلك وجب على الفرد العمل لتلبية حاجياته، دون الاحتياج إلى غيره.

وفي الأخير نستنتج أنّ التّجارة هي تقليب المال لغرض الرّبح، وقد أشارت الأمثال إلى صفات التّاجر الحقيقي، إذا كان بائعا يجب أن يحسن التصرف مع الناس ومعاملتهم معاملة حسنة لشراء بضائعه وقد أشارت الأمثلة إلى الشراكة، بأنّها تقود إلى المشاكل، فيجب على الإنسان تجنبها كي يتجنب أضرارها.

2) المال:

يستحوذ عنصر المادّة في الحياة على جزء كبير من اهتمامات الناس، فمعظمهم يستخدم هذه الوسيلة المهمّة في الشراء وتلبية الاحتياجات الضرورية في الحياة، وتوفر الأمان النفسي لديه، فالحياة متقلبة متغيرة، وقد تمرّ على الإنسان أيام وظروف صعبة، فيكون المال في هذه الحالة عنصر أمان بلا شكّ حيث يستطيع به الإنسان تجاوز تلك الظروف والأحوال، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1]. وهناك آيات كثيرة في الرزق والمال، وممّا ورد في موضوع المال، نجد:

[1]- سورة الكهف، الآية 46.

*** دَراهْمَكْ في يْدِكْ كُلْ يُوْمْ عِيْدِكْ***

العيد مناسبة خاصّة يفرح بها الكبير والصّغير وله مكانة خاصّة في قلوب أهل سوف، لذا شبّه المال بالعيد، فامتلاك المال فرحة وسعادة كفرحة العيد، فضرب هذا المثل في من يملك المال فكلّ الأيام أعياد بالنسبة إليه.

*** دَراهْمَهْ في الصَنْدُوقْ وْخُوهْ فِيْ السُوقْ***

بمعنى أنّ المال يجلب كلّ شيء يريده الإنسان، فالسوق مكان يضم كلّ حاجيات الإنسان، لذا يضرب هذا المثل في أنّ المال يوفّر كلّ الرّفاهية للإنسان.

*** المال يْدَخَلْ الجَنَّه ***

بمعنى المال الحلال ويضرب هذا المثل في المال الحلال عند الرجل الصالح، فالمثل يدعو إلى ضرورة الحصول على العمل الذي يكسبك حياة طيبة وفق الشريعة الإسلامية.

*** دُورُو في الصُرَّهْ خِيْرْ مِنْ امْيَا البَرَّهْ***

بمعنى أنّ المال الذي بحوزتك أحسن من المال الموجود عند الناس الآخرين حتى ولو كان أكثر منك، فهذا المثل يضرب في تقدير المال الذي تمتلكه أحسن وأفضل ممّا عند الناس.

*** المالْ ذهِيبَهْ وِالرّجَالْ تْجِيبَهْ ***

بمعنى أنّ المال يذهب ويضيع و الرجال هم من يتكفل بإحضاره بعملهم وكدّهم في الحصول عليه، لذا يضرب هذا المثل في تقدير دور الرجل في جلب المال.

*** الدَّراهَمْ تَحْضَرْ وِتْغِيْبْ ***

بمعنى حالتَيْ الغنى والفقر، فالإنسان في حياته لا تدوم له حال فإذا توّفر لديه المال وحضر فهو في حالة الغنى، أمّا إذا غاب المال عنه فهو في حالة الفقر، لذا يضرب هذا المثل في المال، وارتباطه بحالة الإنسان في الحياة.

وممّا سبق نجد أنّ المال له أهمية كبيرة في حياة المجتمع السوفي فالأمثال الشعبية حثت على ضرورة الحصول على المال، فهو وسيلة للعيش من أجل تلبية حاجياته اليومية، كما أشارت الأمثال إلى ضرورة كسب المال الحلال والابتعاد عن المال الحرام ليعيش حياة طيبة ونظيفة في الدنيا ومرضاة الله في الآخرة.

خلاصة:

من خلال الأمثال الشعبية التي جمعناها عن سكان منطقة وادي سوف لاحظنا أمرا مهما وهو تعدد مواضيع الأمثال الشعبية وتعرضها لمختلف مجالات حياة الإنسان التربوية والأخلاقية والاجتماعية والدينية والاقتصادية... وفق الظروف والأحوال، فهي لم تترك جانبا من جوانب الحياة إلّا وأدركته وعبّرت عنه من خلال عباراتها الموجزة، فمثلما تعرضت لحياة الفرد وعلاقاته بأفراد مجتمعه تعرضت أيضا لجوانب أخرى تتعلق بسلوكه وأخلاقه داخل المجتمع، ومن أهمّ المواضيع التي عالجتها الأمثال الشعبية والتي لم تغفل عنها موضوع التربية أو سلوك الفرد داخل الوسط الذي يعيش فيه، لأنّ صلاح الفرد يؤدي بالضرورة إلى صلاح المجتمع لذلك تعدّ الأمثال الشعبية بمثابة قواعد وقوانين هدفها تنظيم سلوك الفرد وضبطه داخل الحياة الاجتماعية مع عائلته ومع مجتمعه، وهذه السلوكات التي عبّرت عنها الأمثال الشعبية عديدة ومتعدّدة سواء سلوكات حسنة وأخلاق فاضلة نوّهت بها ودعت إليها وإلى الاتصاف بها وتشجيع المتصف بها من الكرم والقناعة والحب والتعاون والحياء والوفاء والصبر إلى غير ذلك. أو سلوكات منبوذة وذميمة دعت إلى الابتعاد عنها كالبخل والطمع والكره والكذب والخيانة. أمّا في البعد الاجتماعي فلقد تطرقنا إلى الأمثال في المرأة والزواج والأسرة والجار والصداقة. وفي البعد الديني ذكرنا القضاء والقدر والعناية الإلهية وتصاريف الدهر. أمّا البعد الاقتصادي من مواضيعه العمل والتجارة والمال.

وبعد هذه الدراسة توصلنا إلى أنّ منطقة وادي سوف منطقةٌ زاخرة بالأمثال الشعبية التي شملت جميع جوانب الحياة لسكان سوف.

خـــاتمـــــة

تعدّ الأمثال الشعبية أكثر أنواع الأدب الشعبي قدرة على حفظ وحمل وترجمة أفكار وذهنيات أفراد المجتمع، وكذلك عاداته وتقاليده وأعرافه ومعتقداته الاجتماعية، يعني أنّها تعدّ وعاء تصبّ فيه ثقافة المجتمع الذي أنتجها وحافظ عليها بالتّداول والتناقل مشافهة جيلاً بعد جيل، فالأمثال الشعبية تعبّر عن فلسفة المجتمع وأحلامه وآماله في الحياة.

كان بحثنا عبارة عن دراسة تاريخية ووصفية تحليلية للأمثال الشعبية بمنطقة وادي سوف ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج تمثلت فيما يلي:

- ✓ منطقة وادي سوف مازالت تحافظ على الموروث الشعبي، من عادات وتقاليد، والأدب الشعبي خاصّة فيما يتعلق بالأمثال الشعبية هو شكل أدبي له حضوره الدّائم والمستمر في كلّ الأوقات وفي كل المناسبات وعند مختلف الطبقات والفئات.
- ✓ الأمثال هي ذاكرة الشعوب الحية والمتحركة، فكلّ أمّة لها أمثالها الخاصة بها.
- ✓ إنّ المثل يحتلّ مكانة هامة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى، كونه يتمّيز بخصائص أهّلته للخلود في صدور الناس، أهمّها الدقة في التعبير، وإصابة المعنى، وإيجاز اللّفظ وهذا ما جعلها سريعة الانتشار بين الأوساط الشعبية.
- ✓ الأمثال الشعبية رغم إيجاز ألفاظها إلاّ أنّها تمثّل موجزًا للتجارب والخبرات في مجال العلاقات الإنسانية.
- ✓ أنّ المثل جنس أدبي هامّ لذلك جاء في أرقى النصوص الأدبية منها القرآن الكريم، وورد في عدّة مواضع وبأوجه مختلفة، وكذلك ورد في الحديث النبوي الشريف.
- ✓ اتفق الباحثون على أنّ المثل يدلّ على عدّة معانٍ أهمّها: الشبه والنظير والعبرة.
- ✓ الأمثال الشعبية مبنيّة على قصص وأحداث وقعت لأهل المنطقة وبالتالي أصبحت وليدة المنطقة كلّها.

✓ المثل الشعبي استطاع تسجيل حضوره في منطقة سوف، بدليل أّن الأفراد إلى يومنا هذا تتناقل مجموعة من الأمثال تتحدّد تبعًا لسلوكيات الأفراد، والمدونة المجموعة من المنطقة دليل على ذلك.

✓ ولقد كشفت دراستنا للأمثال الشعبية السوفية عن تنوّع الموضوعات وتعدّدها في شتّى الأبعاد الدلالية الاجتماعية والدينية والأخلاقية والاقتصادية وعبرت على العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع الواحد؛ يتمثّل البعد الاجتماعي في علاقة الأسرة الواحدة بين الوالدين والأبناء وعلاقة الأخوة بعضهم ببعض، وكما ذكرت الأمثال المرأة سواء كانت بنتا أو زوجة أو أمًّا وبعلاقتها مع أفراد مجتمعها ،كما لم تتغافل الأمثال عن العلاقات الأخرى ،كالجار والأصدقاء ،كما أنّ الأمثال السوفية لم تهمل الجانب الديني الذي ذكرت فيه الأمثال تتناول موضوع القضاء والقدر والعناية الإلهية وتصاريف الدهر، وأهمّ ما واجهنا في دراستنا البعد الأخلاقي فهو يصف أخلاقيات الفرد الواحد دخل مجتمعه سواء كانت أخلاقا حسنة ومحمودة: مثل الكرم و المحبة. ..وغيرهما، أو منبوذة ومكروهة: مثل البخل والكذب... وغيرهما، كما لم تغفل الأمثال البعد الاقتصادي وما يتعلّق به من العمل والتجارة والمال، فالأمثال جمعت جميع جوانب الحياة.

✓ بعض الأمثال تحتمل أكثر من معنى وتفسير في ضربها، وهذا يعني أنها صالحة لأن تندرج تحت أكثر من بعد دلالي وقد قمنا بتوضيح ذلك، كما نلاحظ ظاهرة التناقض في الأمثال أيضا.

✓ جمعت الأمثال كثيرا من الأخلاق المحمودة والأخلاق المنبوذة للإنسان إلى حدّ الزّعم بأنّه ما من صفة إنسانية يمكن أنْ يُنعت بها الإنسان إلّا وأشارت إليها الأمثال.

✓ صنفنا الأمثال تصنيفا يغطي كلّ جوانب حياة الإنسان: الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية وكلّ ما يمكن أنّ يقوم به في حياته داخل المجتمع، من سلوكات متنوعة وما يجري بينه وبين مجتمعه من علاقات إيجابية تعود بالنفع المطلق أو علاقات سلبية.

✓ نلاحظ أنّ الأخلاق والعلاقات الإنسانية بنوعيها بوصف عام تتّفق ومبادئ الدين الإسلامي من حثّ ونهي، وهذا الأمر يضع أمامنا احتمالية أنّ الدّين أثرّ في تفكير الإنسان السّوفي،

وفي سلوكه الخاصّ وعلاقته بالآخرين أو أنّه متديّن بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ إذ تتوافق سلوكياته وصفاته مع مبادئ الدّين، وكلا الاحتمالين حسن مقبول. هذه أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو بجزء بسيط، في مجال الأدب الشعبي، وقمنا بجمع جزء من هذا التراث الزاخر الذي ينتظر من يهتمّ به والالتفاتة له، رغم أنّ مجال تخصّصنا في اللغة إلّا أننا آثرنا دراسة الأمثال الشعبية نظرا لميلنا إلى هذا التراث الذي ورثناه عن أجدادنا وأردنا الحفاظ عليه بدراسته وإحيائه من جديد.

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

الرواة:

1. بن مبارك وريدة ، من مواليد 1978، الرقيبة.
2. دحده أحمد ، من مواليد 1956، الرقيبة.
3. زاوش فاطمة ، من مواليد 1947، الرقيبة.
4. فايزي خيرة، من مواليد 1964، الوادي.
5. مقيرحي خديجة ، من مواليد 1940، الرقيبة.
6. نين مباركة ، من مواليد 1964، الرقيبة.

الكتب:

1. ابن زهير كعب: ديوان كعب ابن زهير، تحقيق:درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2008م.
2. ابن فارس أحمد: معجم مقاييس للغة، ترجمة: عبد السلام محمد هارون، دار الجبلين، بيروت،ج5 ،دت.
3. ابن كثير أبي الفراء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق:سامي بن محمد السلامة، ج1، دط ،دت.
4. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الأفريقي المصري:
   - لسان العرب، ج11، دار صادر بيروت،دط،دت، مادة (م.ث.ل).
   - لسان اللسان، تهذيب لسان العرب،ج2 ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،1993.

5. بن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ج3،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983م.

6. بن على محمد الصالح: 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، سلسلة الثقافة الشعبية ،ط1، 1998م.

7. البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل:صحيح مسلم، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2002م.

8. الجاحظ أبو عثمان بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج2،دار الجيل، بيروت، دط، دت.

9. الجوهري إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ترجمة: أحمد عبد الغفور عطّا، ج5، دار العالم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1979.

10. الفراهيدي أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مج 8، دار ومكتبة الهلال،دط،دت.

11. الميداني أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل النيسابوري:

- مجمع الأمثال:ج2، تحقيق: محمد محي الدين عبد السلام، دار المعرفة، بيروت،دط، دت.
- مجمع الأمثال، ج1، دط، دت.

المراجع:

1. إبراهيم نبيلة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر القاهرة، دط، دت.

2. أبو على محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي،دار النفاس، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

3. أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، دط،2003م.

4. البيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين: الآداب، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1986م.

5. الحنفي جلال: الأمثال البغدادية، ج1، مطبعة أسعد، بغداد ،دط ،1962م.

6. زغب أحمد:

- الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة سخرية، الوادي، ط2، 2012م.
- لهجة وادي سوف، دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، الوادي، ط1 ،2012م.

7. زلهايم رودلف: الأمثال العربية القديمة، ترجمة: رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، ط3، 1984م.

8. السدوسي أبي فيد مؤرج بن عمر، كتاب الأمثال، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1983م.

9. السيوطي جلال الدين:

- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1،2008م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج1، تعليق: عبد الرحمان محمد أحمد جاد المولي بك،محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد التجاوي، دار التراث، القاهرة، ط3، دت.

10. الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق،الدار الشامية، بيروت،ط2، 1997م.

11. طاهر جمال، داليا جمال الطاهر: موسوعة الأمثال الشعبية دراسة علمية،دط،دت.

12. العوامر إبراهيم محمد الساسي: الصُّروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الأبيار، الجزائر، دط،2007م.

13. عيلان محمد: محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، مع ملحق بنصوص مختارة (قصص. حكايات. أحاجي. أمثال. نوادر شعبية)، ج1،دار العلوم، دط ،2013م.
14. قانصو أكرم:التصوير الشعبي العربي، علوم المعرفة ،الكويت، دط، 1995م.
15. قطامش عبد المجيد: الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر،دمشق سوريا، ط1، 1988م.
16. الكور موزه أحمد محمد: الأمثال في الحديث النبوي، جامعة قطر،دط،دت.
17. الماوردي علي بن محمد بن الحبيب:الأمثال والحكم، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد،دار الوطن لنشر، قطر، ط1، 1999م.
18. مكاوي عون، سوداني عمار، سباق عبد القادر بشير: هجرة سكان سوف إلى الجزائر العاصمة، مطبعة سخرية، الوادي، ط1، 2014م.

الرسائل الجامعية:

1. قاسمي كهينة: الأمثال الشعبية في منطقة المهير (دراسة تاريخية وصفية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، المشرف: علي بولنوار، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة ،2009/2008.

المجلات والدوريات:

1. هاشم أحمد عمر: حول البلاغة النبوية،الفيصل، مجلة ثقافية شهرية، علوي طه الصافي، العدد 21، ربيع الأول 1399هـ، فبراير 1979م.
2. الوادي سحر الجنوب ودفء الصحراء، مجلة ثقافية محافظة المهرجان الثقافي المحلي للثقافات والفنون الشعبية، لولاية الوادي، 2013 م.

المواقع الالكترونية:

1. حارص عمار: القيمة التربوية للأمثال الشعبية Email:hares go 2006@ yhoo.com

فهرس

الموضوعات

العنـــوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
شكر وعرفان	
مقدمة.....	أ- د
مدخل: منطقة سوف لمحة جغرافية وتاريخية وثقافية	
أولا: التسمية.....	7
ثانيا: مظاهر السطح.....	8
ثالثا: الإطار الجغرافي	8
رابعا: الإطار التاريخي.....	10-9
خامسا: الإطار الثقافي.....	12-11
الفصل الأول: فن المثـــل (تحديدات نظرية)	
المبحث الأول: المثل العربي الفصيح.....	14
تمهيد.....	14
أولا: تعريف اللغوي والاصطلاحي.....	15
1) في اللغة.....	15
2) في الاصطلاح.....	18-16
ثانيا: المثل في القرآن الكريم.....	22-19
ثالثا: المثل في الحديث النبوي الشريف.....	25-23
المبحث الثاني: المثل الشعبي	26
تمهيد.....	26
أولا: تعريف المثل الشعبي.....	28-27
ثانيا: أنواعه.....	29

1) المثل الموجز.....	29
2) المثل القياسي.....	30
3) المثل الخرافي.....	30
ثالثا: خصائصه ومميزاته.....	34-31
رابعا: مصدره ووظيفته.....	34
1) مصدره.....	34
2) وظيفته.....	35
خامسا: أهميته وعلاقته بالأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.....	37-36
خلاصة.....	38
الفصل الثاني: الأمثال الشعبية في منطقة وادي سوف وأبعادها الدّلالية	
تمهيد.....	40
أولا: البعد الاجتماعي.....	41
1) المرأة.....	43-41
2) الزواج.....	45-44
3) الأسرة.....	48-46
4) الجار.....	49
5) الصداقة.....	51-50
ثانيا: البعد الديني.....	52
1) القضاء والقدر.....	53-52
2) العناية الإلهية وتصاريف الدهر.....	56-54
ثالثا: البعد الأخلاقي.....	57
1) القناعة والطمع.....	59-57
2) الصبر.....	62-59
3) الخيانة والوفاء.....	64-62
4) الحياء والكذب.....	66-64

5) الكرم والبخل.....	68-66
6) الحب والكره.....	71-69
7) التعاون.....	73-72
رابعا: البعد الاقتصادي.....	74
1) العمل.....	76-74
2) المال.....	78-76
خلاصة.....	79
خاتمة.....	83-81
قائمة المصادر والمراجع.....	89-85
فهرس الموضوعات.....	93-91